المحور الثاني

المحور الثاني
الوعي الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين بعد الحرب العالمية الأولى : فكرة و تطبيقا 1919 – 1945
حركة الإصلاح الديني في الجزائر و فكرة وحدة المقاومة مغاربيا
الجزائريون و منظمة طلبة شمال أفريقيا المسلمين
نجم شمال أفريقيا : من التنظير إلى التجسيد 1936 – 1937
حزب الشعب الجزائري بين "القطرية و " المغاربية " 1937 – 1939
لجنة العمل الثورية لشمال أفريقيا 1939
النازية و تدعيم البعد الوحدوي المغاربي
الجزائريون في مكتب المغرب العربي ببرلين 1943
جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية 1944

6 / مظاهر الوعي المغاربي الموحد لدى الجزائريين بعد الحرب العالمية الأولى (1919-1945) : الفكرة و الممارسة

6 / 1 : حركة الإصلاح الديني في المغرب العربي و فكرة وحدة المقاومة مغاربيا :

بدأت بعد الحرب العالمية الأولى مرحلة أخرى للاتجاه الوحدوي المغاربي، نتيجة ظهور إيديولوجيات عالمية جديدة بدأت في الانتشار بالدعاية والنشر والإذاعة، فمن جهة هناك الإيديولوجية الماركسية اللينينية والإيديولوجية الأمريكية المضادتان للاستعمار التقليدي، كان لتصريحات الرئيس ويلسون صدى عميق في الأوساط المغاربية، خلال سنتي 1919 و1920، وهناك تأثيرات أخرى.

اعتبر علال الفاسي أن الوطنية المغاربية انتقلت من حالة"السلفية" إلى حالة "الوطنية" " لأن الشباب المغاربي وجد في الحركة السلفية ميدانا لبذل نشاطه وتعويد نفسه على العمل لخدمة الأمة والتضحية في سبيلها" .و بالرغم من أن تكوينها الأولي كان سلفيا،فإنها أصبحت تتناول الشؤون العامة بأسلوب غير الأسلوب التقليدي.كما كانت جامعة القرويين بفاس و الزيتونة بتونس نقطة انطلاق لـ"السلفية الوطنية".بعد أن عرف هذا القطب التاريخي إصلاحات هيكلية عميقة أدت إلى إعادة بعث دوره النهضوي الإستراتيجي من خلال أنشطة ثقافية ساهمت في تنوير الرأي العام المغربي بقضية الحماية الفرنسي

لقد أجمع الدارسون أن السلفية تعتبر جزءا أساسيا من تاريخ الوطنية المغاربية نشأة و مسارا فما كان بإمكان أية حركة سياسية في المغرب العربي أن تتأسس خارج إطار ما رسخته الزوايا طيلة قرون عديدة من قيم و سلوكات و تمثلات و طرق تنظيم الفرد و الجماعة .فقد كانت "السلفية التقليدية" هي المحرك الروحي الرئيسي للمقاومة المسلحة التي اندلعت مع بدايات النفوذ الأجنبي للمغرب العربي في نهاية القرن19 و مطلع القرن20.وازدادت قوة بعد الإختلال الفرنسي للجزائر .ومباشرة بعد نهاية الاستجابة العسكرية لفعل الاحتلال ظهرت استجابة أخرى تمثلت في حركة المقاومة السلمية في عدد من المدن الكبرى و قد تزعمتها نخبة إصلاحية اتخذت من التدخل الأجنبي موقفا مطابقا لموقف المقاومة المسلحة.و لكنه مختلف عنه في الوسيلة والآليات.فقد اعتبرت هذه الحركة الفعل الاستعماري شموليا في حركته وبالتالي مواجهته يجب أن تكون

كذلك.فالواقع الجديد دفع بهؤلاء للتفكير بواقعية في أسباب قوة العالم الغربي و تقهقر العالم الإسلامي.وبالتالي فإن النهوض بهذا الأخير يجب أن يكون شاملا.فحتى هذه المواجهة العسكرية لم تنجح في تحقيق هدفها لأنها لم تأخذ بالأسباب العلمية للقوة،التي كان الطرف الآخر متحكما فيها.فقد سجلت هذه المقاومة بطولات خالدة ولكنها فشلت في طرد الاحتلال الأجنبي.لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار"المعامل الاستعماري " Coefficient Colonial بشموليته.كما قال بذلك مالك بن نبي.

لم يكن هذا الاتجاه في الحركة الوطنية المغاربية جديدا،إنما تعود بوادره الأولى إلى نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين في أوساط شريحة من النخبة المغاربية تعرف بـ"السلفية المجددة" .و قد تزامن نشاط هذه الفئة مع حركة المقاومة الشعبية المسلحة.و قد أدركت هذه الفئة التفاوت الحضاري بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي .و اعتبرته مرتبطا بسيرورة تاريخية بدأت بضعف وانهيار العالم الإسلامي وانتهت بسقوطه.و لم يكن الحل العسكري بالنسبة لها وسيلة ناجعة لترجيح كفة الاختلال. فقد كان لهذه الفئة نزعة عقلانية جعلتها تعتقد بعمق الهوة الموجودة مع الغرب.و لذلك لا يمكن مواجهته عسكريا.لأن في ذلك" "هلاكا و فسادا في الأرض".على حد تعبير صاحب الإستقصا الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الذي كان من رواد هذا الاتجاه .فقد اعتبر الناصري أن"القطر المغاربي على ما هو عليه من غاية الضعف و قلة الاستعداد. فلا ينبغي لأهله المسارعة إلى الحرب مع العدو الكافر مع ما هو عليه من غاية الشوكة و القوة.فقد تقرر في علم الحكمة أن المعاندة و المدافعة إنما تحصل بين المتضادين و المتماثلين و لا تحصل بين المتخالفين و الحال اليوم مع العدو ليست من باب التضاد و لا من باب التماثل و إنما هو من باب التخالف...لأن حال أهل المغرب لم تجتمع كلمتهم و ليسوا على قلب رجل واحد...و لا ضابط يجمعهم و لا قانون يسوسهم..." .و بالنسبة لهؤلاء المثقفون، الذين كانوا من نخبة المدن، فإن الغرب تفوق عليهم عسكريا بعدما تفوق اقتصاديا و علميا و مواجهته في تلك الحال" كمثل طائرين أحدهما ذو جناحين و الآخر مقصوصهما واقع على الأرض لا يستطيع طيرانا، و لا يهتدي إليه سبيلا. فلا يمكن لهذا المقصوص الجناحين الذي هو لحم على وضم(خشب)أن

يحارب الذي يطير حيث شاء،و ينقر متى وجد فرصة.و يبعد عنه و يطير إذا لم يجدها.حتى و إن حاول ذلك (المقصوص)حركة فلا يؤدي ذلك إلا إلى هلاكه...وهذا حال المغرب مع عدوه فإنه بقراصنته الحربية ذو أجنحة كثيرة...فهو يهجم عليه في ثغوره إذا شاء و يبعد عنه فلا يدرك منه متى شاء . "

لذلك فإن هؤلاء اعتبروا للمواجهة شروطا و مقتضيات وجب توفيرها.و منها ما هو متوفر في الحضارة الغربية بحد ذاتها.و لذلك وجب الفصل بين مكونات هذه الحضارة.فالمدنية يمكن الاستفادة منها بما يساعد على النهوض بالمجتمع المغربي.فبالنسبة لهم يوجد في هذه المدنية الغربية الكثير من الإيجابيات التي يمكن الأخذ بها و الاستفادة منها عن طريق القيام بإصلاحات عميقة تقتفي آثاره هذه المدنية من أجل التحاق المغرب بركب التطور.و يجب على هذا التقدم أن يجمع بين التراث الأصيل للمجتمع المغربي و مقتضيات النهضة المادية.فقد كان التجديد عند هؤلاء مرتبط بالبعد الزمني للحضارة الغربية لا الديني.

عندما قام زعماء السلفية المجددة بتحليل عميق لأسباب الاختلال بين أوضاع المغرب العربي و حالة الغرب وجدوها عديدة، و تجاوزت الآلة العسكرية فقط، فقد كانت في الاقتصاد والسياسة وفي كل مظاهر المجتمع، وبالتالي يجب إعادة النظر في موقف المغاربة من الضفة الأخرى للمتوسط. بإنهاء القطيعة الحضارية معها. و ضرورة الاستفادة منها في مختلف المجالات. ولم يتردد هؤلاء في المطالبة في الفصل بين المرجعية الدينية للمجتمع المغاربي ومقتضيات التطور الاجتماعي في الجانب المادي. فهذا الأخير يجب أن يتم حتما عن طريق الاقتباس من الغرب للنهوض بالإنسان والعمران. معتبرين أنفسهم وسطاء بين المغرب العربي والغرب مجتمعا وحضارة. و لكن في جميع الأحوال فإن هذا التفكير التجديدي لم يقم على قطيعة مع التراث والتاريخ الإسلامي، بقدر ما كان بحثا عن مرحلة انتقالية بين القديم والجديد. على أن يشرفوا هم على هذه المرحلة لأنهم أدرى بمضامين كل واحدة منها. و بالتالي هم ضمان هذا الانتقال الآمن و المفيد. و قد كانت هذه المسألة خلافهم الجوهري مع من يأتي من بعدهم من زعماء "السلفية الوطنية السياسية".الذين اعتمدوا "منهج الاحتياط" في مسألة الاجتهاد و التفريق بين القديم و الجديد .

لقد كان خطاب رموز السلفية المجددة مبنيا على جدلية العلاقة بين الماضي والحاضر .فبقدر ما كان الأول مزدهرا و راقيا في مختلف المجالات الفكرية و العلمية فإن الثاني لم يكن كذلك. فقد كان ركودا و جمودا و تقهقرا.وبالنسبة لهم فإن النهوض به يتطلب ضرورات داخلية وخارجية . فالضرورات الداخلية تقوم على أساس تجديد الدين وربطه بمصلحة الإنسان المغربي في الدنيا والآخرة.و تجديده بالنسبة لهم يتم بإعادة قراءته قراءة ترتبط بالحاضر.لأن"أسباب الهرم منها ترك الاجتهاد و اختصار الكتب" على حد تعبير محمد بن الحسن الحجوي ،الذي كان أحد أقطاب السلفية المجددة،في كتابه"الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" .ويعتبر التجديد في نظرهم مدخلا ضروريا لإعادة بعث الحاضر مستندين في ذلك على أدلة شرعية من القرآن الكريم و السنة النبوية .لأن الفقه الإسلامي في نظرهم وصل إلى"طور الشيخوخة والهرم المقرب من العدم. "

بالتالي فإن هذا التجديد يجب أن يمس الدين في كلياته حتى ترتفع مكانته وأهله.فإن المساهمة في هذا التجديد واجب شرعي على كل عالم مجتهد .فالمنظومة التجديدية التي طالب بها هؤلاء كانت تعني إعادة تأصيله،و صفائه، ونقائه،وإزالة الكثير من الشوائب التي أضيفت إليه بفعل الممارسات المنحرفة.وهكذا فبالنسبة للسلفيين المجددين فإنه كل شيء في الدين كان بحاجة للتجديد،باستثناء المعتقدات و العبادات.و لذلك كانت إعادة قراءة الفقه الإسلامي ضرورة شرعية بالنسبة إليهم.فهذا المجال هو أكبر جامع ورابط للمسلمين وشكل على مر التاريخ قوة الأمة الإسلامية ودرعها الواقي من كل التيارات الأخرى."فلا يوجد شرع مزج بين مصالح الدنيا و الدين كالفقه الإسلامي" كما قال بذلك الحجوي ".

ف "مسمى الفقه ليس بعلم ديني محض" .وبالتالي فإن تجديد هذه المنظومة حسب ظروف الزمان والمكان عن طريق الاجتهاد أمر ضروري.و غلق هذا الباب هو الذي أدى إلى ضعف المجتمع الإسلامي.فتجديد الفقه ضروري لتجديد الإنسان للحفاظ على المصلحة العامة للأمة التي تجمع بين شقها الديني والدنيوي على حد سواء . وحتى يحقق التجديد مصلحة الأمة طالب السلفيون المجددون بضرورة إحلال مبدأ النظام في المجتمع باعتباره وسيلة ضرورية لتحقيق فاعلية مبدأ الإصلاح باعتباره الإطار التنظيمي الذي يستوعب كل المبادرات باختلاف مجالاتها في

المجتمع. وبالتالي تتحقق الفاعلية المنتظرة منها لأن"نظام العصر ضروري بالنسبة لأي مجتمع ولا يمكن لهذا النظام أن يكون جامدا أو ثابتا إنما يجب أن يتسم بالمرونة والتحول حسب الأحوال والأزمان" ."فالفقه أمس بالنظام من بقية الشرائع. فأحكامه بنيت على العدل و الاعتدال و احترام النواميس الطبيعية. "...

أما الضرورات الخارجية التي نادت بها السلفيون المجددون فتتمثل في ضرورة الاستفادة من الحضارة الغربية الوافدة إلى المغرب بمختلف الوسائل بما فيها الغزو العسكري.و قد أدى هذا الأخير إلى خلق تلك المدنية لنفسها أعداء منذ اتصالها الأولي مع المغرب العربي حيث عارضها الكثيرون من العلماء التقليديون خوفا أو حذرا لشبهة و بدعة و ضلالة لأن مصدرها النصارى ولأنها جاءت غازية ومحتلة.و لذلك عارضها العلماء التقليديون واعتبروا مظاهرها غزوا فكريا وإخراجا من الملة.لأنها جاءت بقوة السلاح في معظم الأحيان.وأتت بما يخالف معتقداتهم الراسخة.و بالرغم من ذلك فإن السلفيون المجددون سمو هؤلاء خصوم المدنية ونعتوهم بالجامدين معتبرين أن للمدنية الغربية الكثير من الحسنات يجب الاستفادة منها في شتى مجالات الحياة.فقد اعتبر أحدهم نفسه " في طليعة من يبهج لمناظر المدنية الحادثة التي كم لها من الحسنات لا ينكرها إلا من ينكر ضوء القمر ليلة تمامه" . ولتحقيق ذلك اجتهد هؤلاء في إبراز عدم التناقض بين المقتضيات الدينية وبين مظاهر هذه المدنية،وذلك لفتح الباب أمام قبول الكثير من مظاهر المدنية الغربية .

فالشريعة الإسلامية بالنسبة لهؤلاء لا تعتبر عائقا أمام التطور المادي للمجتمع.وبالتالي لا يوجد أي تناقض بين المدنية و الدين الإسلامي عقيدة وشريعة.فهذه الشريعة تميزت على مر العصور بمرونة كبيرة سمحت لها بالتأقلم مع كل التطورات الحاصلة في المجتمع الإسلامي انطلاقا من المبدأ المقدس الذي يقول بصلاحية الإسلام لكل زمان و مكان.و للتعبير على البعد الإنساني للدين الإسلامي قال الكثير من المصلحون بأنه لا خوف على الإسلام و"على المغاربة الاطمئنان لكل تطور لأن الإسلام "اعترف به الكثير من عظماء الفلاسفة من غير المسلمين.و هو الدين الوحيد الملائم لأصول المدنية الصحيحة، و الجامع لقواعد الإنسانية و الخصال المليحة و القابل

بصلاحية أصوله للتطابق مع غيره من الكتب كالتوراة و الإنجيل . "

لقد وعت السلفية المجددة أسباب تفوق العالم الغربي عن العالم الإسلامي في كل المجالات، و انتقدت السلطة السياسية انتقادا لاذعا.و اعتبرت الاستعمار و التدخل الأجنبي مسؤولا عن ركود و تقهقر المجتمع المغربي حفاظا على مصالحه الشخصية الضيقة والآنية. و لم يتردد حتى ضرب العديد من القبائل المغاربية لسبب أو آخر .و لذلك كان الاستعمار نتيجة حتمية.و لا يمكن التحرر من هذه السيطرة الأجنبية إلا بإعادة النظر في موقف المغرب العربي من الحضارة الأوروبية مجتمعا وسلطة.و قد كانت الحرب العالمية الأولى بالنسبة لهم فرصة تاريخية أتيحت للمغاربة للاحتكاك الفكري بالحضارة الغربية إجبارا لا اختيارا. مما أدى إلى ترقية أفكارهم، التي تغيرت فجأة و بصورة جذرية. و على غرار شعوب المستعمرات الأخرى فقد تعرف المغاربة بمشاركتهم في هذه الحرب على الأفكار الجديدة التي حارب من أجلها العالم الحر.و قد جسدت فيما بعد مبادئ ولسن الأربعة عشر هذه الأفكار قد عبر الكثير من الاستعماريين الكبار في عدة تقارير عن هذه التحولات و تخوفهم منها من أنها ستنسف جهودهم في بناء "المغرب العربي العصري" من خلال أطروحة الاستعمار .بالإضافة إلى ما حققته عملية "التهدئة" من نتائج في مختلف أنحاء المغرب العربي .بالنسبة ولاء بع فإن الخطر الداهم للمغرب بعد الحرب مصدره هؤلاء المغاربة الذين شاركوا في الحرب جنودا و عمالا فتعرفوا على المجتمع الغربي من خلال فرنسا،وتعلموا اللغة الفرنسية،وعادوا إلى المغرب بأفكار جديدة.و من جهة أخرى فقد أدى انتقال آلاف الجزائريين المعادين لفرنسا من الشرق إلى المغرب بفعل الحرب العالمية إلى كثرة الشعور العدائي ضد الوجود الفرنسي في المغرب.و بالإضافة إلى ما سبق فإن حرب الريف زادت في اهتزاز نظام الحماية.

لقد كان خطاب السلفية المحافظة إزاء النظام الاستعماري قبل الحرب العالمية الأولى مدحا لمنجزاته و تمجيدا لخلفيته الحضارية،و حتى بحثا لأعذار بعض مظاهره السلبية التي ظهر بها معتبرين مرد ذلك هو عدم التزام الموظفين الميدانيين بالالتزامات المركزية.إلا أنه بعد الحرب بدا خطاب السلفيون المجددون يظهر عليه بعض خيبة الأمل في هذا النظام. و على عكس ما سبق فقد بدا هؤلاء في انتقاد سياسة الإصلاح في مختلف الميادين. و قد يكون ذلك نتيجة لسياسة

بعض الرموز الإستعمارية مثل الرحيل النهائي للجنرال ليوتي عن المغرب في سنة1925.
.و يبدو أن الحرب العالمية الأولى كانت بالنسبة لهؤلاء بداية مرحلة جديدة في تعاطيهم مع نظام الحماية.لأنهم بدؤوا في نقدهم له من خلال جوانب محددة مرتبطة بالأوضاع العامة للمغاربة التي عرفت تدهورا كبيرا لم يستطع الحجوي و النميشي و المواز و ابن الأعرج و غيرهم تغاضي النظر عنها.سواء في مجال الاقتصاد الذي اعتبروه تضرر كثيرا بالحماية سواء من خلال نزع أراضي المغاربة والتوسع الفلاحي الاستعماري الذي كان يتناقض مع بنود معاهدة الحماية نفسها.و حتى المجالات الأخرى من حرف و تجارة التي لقيت الكثير من الإهمال والتضييق من طرف الكولون الجدد.و كذلك حجم المكوس و الضرائب التي تضاعفت على روس المغاربة.فشلت حركتهم وأصبحوا رهينة لهذه السياسة الاستعمارية التي أرادت من خلالها باريس تعويض خسائر الحرب العالمية الأولى .

لقد بدأ المغاربة كغيرهم من الشعوب المستعمرة بحركة مطالب سياسية مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى. فقد كانت المقاومة السياسية من بوادر النهضة التي عرفها المغرب العربي بعد الحرب بالرغم من أن المقاومة المسلحة كانت متواصلة.و لكن هذه المرة فقد"بدا الشعب يتحرك" . و من خلال اللوائح و المطالب التي وجهها المغاربة للسلطات الإستعمارية نسجل عدد منها كان من تحرير العديد من السلفيين المجددين. و إن جاءت بعضها في ضمن مؤلفات و كتب. و لكن جاءت أخرى في شكل عرائض صريحة تطالب بتحسين أحوال المغاربة من جميع الجوانب بما فيها السياسية. كما جاء ذلك في اللائحة التي أرسلها أحد رموز السلفية التجديدية أحمد بن محمد النمشي و قد قدم في هذه العريضة سردا لحالة المغاربة من جميع الجوانب التي وصفها بالضعف والتدهور.كما تضمنت مجموعة من البنود تضمن إصلاح أحوالهم . و يعتبر هذا بحد ذاته ثورة في طبيعة حركة هذه الفئة.و كانت تطالب المغاربة بالانخراط في مشروعها لأنه سيخرجهم من التخلف الفكري و المادي.و اعتبرت في العديد من كتاباتها النظام الاستعماري الفرنسي على المغرب مدخل لاستفادة المغاربة من الحضارة الغربية لذلك لم يجد زعمائها حرجا في تقلد مناصب سياسية و إدارية عالية في الأجهزة التي كانت تشرف عليها السلطات الاستعمارية .

يبدو أن تغيير موقفهم جزئيا لا جذريا يعود لتقديرهم بأن الفرنسيين انحرفوا عن مشروع الحضارة الغربية في المغرب العربي خاصة عندما بدأ مبدأ الاستيطان محركا لحركة الكولون في مختلف أنحاء المغرب.و لعل الصراعات بين المستوطنون و المغاربة حول العديد من القضايا و المسائل بعد الحرب العالمية الأولى من مظاهر هذا التوجه..و في جوان 1920 قام بعض عناصر من النخبة المغاربية بالمطالبة بعدد من البنود لصالح المغاربة اجتماعيا و ثقافيا.و في سنة1921 قام عدد من الوجهاء الاجتماعيين بتحريض السكان على الثورة على الاستعمار و قد انتهت هذه الأحداث بنفي عدد من منشطيها خارج اوطانهم .

إذا كان رموز السلفية التجديدية قد تحاشوا مواجهة النظام الاستعماري في قضايا السياسة و الإدارة فإنهم كانوا غير متحفظين في المسألة الثقافية.و لعل أهم قضية طرحوها بحماس كبير هي قضية إصلاح التعليم الأصلي في المغرب. العربي المتمثلة خاصة في إصلاح النظام التعليمي.و هو نفس المشروع الذي قامت به بريطانيا في مصر في السيطرة على جامعة الأزهر بعد تدجينه .

لقد ساهمت السلفية المجددة في الوطنية المغاربية بخطاب حدد مصلحة الأمة ببعديها الديني والمدني، وهي وطنية جديدة لم يعهدها المجتمع المغاربي من قبل، تميزت برغبتها في الحفاظ على هويتها التاريخية بدون أن يكون ذلك على حساب تقدمها ورقيها. وبالرغم من طرحها العلمي المؤسس، فإنها عجزت عن التحول إلى قوة اجتماعية، وبقيت في شكل مبادرات فردية في كل تحركاتها. فلم يظهر أي تنظيم أو مؤسسة تبنت أفكارها. ولم تصدر أي صحيفة للتشهير بأطروحتها. وعلى العكس من ذلك حافظت باستمرار على علاقتها الهيكلية بالمخزن وحتى نظام الحماية .فكل هذه الأسباب و غيرها أدت إلى عزلة هذا الطرح في المجتمع المغربي وعدم وجود أي صدى شعبي له. فقد كان لها زخما فكريا و إنتاجا أدبيا كثيفا.و بعدا تجديديا في طرحها الاجتهادي.إلا أن كل ذلك لم يكن ذا تأثير على المجتمع المغربي.

لقد كان هذا المجتمع بحاجة إلى نخبة أخرى ذات طرح جذري.و لا تعتبر أن في منظومة الحماية ما يؤدي إلى الخلاص منها بحد ذاتها. فالفكر الاستعماري جزء من الحضارة الغربية. و"النظام الذي خلق الفوضى في أوروبا هو علمي واستعماري في آن واحد، فإذا ما كان في أوروبا

فكر بمنطق العلم،أما إذا انساح في العالم فإنه يفكر بعقلية الاستعمار فالمستعمر(بكسر الميم)الذي تعود تسخير المستعمر(بفتح الميم)في العمل لوته(انحرف)عن مهمته الحقيقية وعرته عن معنى حضارته.و كانت مباشرته لظلم الشعوب المستعمرة(بفتح الميم) سببا أنساه العدالة و أصولها من احترام القانون و الشعور بحق الآخرين" كما قال بذلك مالك بن نبي .فقد أدرك هذه الحقائق جيل آخر تأثر بالمقاومة الريفية، و مقاومات مسلحة أخرى، التي أحدثت وعيا و إدراكا لديه. فلم يعتبر منظومة الإستعمار جزءا من حل الأزمة الوطنية .وهو الذي عبر عنه الكثير من المصلحين الدينيين بقول أحدهم أنه "وجد في دائرة الحركة السلفية الجديدة ميدانا لبذل نشاطه لخدمة الأمة و التضحية في سبيلها . "

تعتبر الحركة السلفية الجديدة مظهرا أساسيا من مظاهر"مخاض ونشوء" الحركة الوطنية المغاربية .و" دعوة إصلاحية تجديدية ظفرت بالكثير من الأنصار شيوخا وكهولا وشبابا بعد الحرب العالمية الأولى" .وقد اتفق كل الدارسين لهذه الظاهرة بأن ظهور السلفية الجديدة في المغرب العربي كان نتيجة ذلك السجال الكبير الذي دار بين هؤلاء السلفيون الجدد،أو الوهابيون الجدد،أو الحنبليون الجدد ،و شيوخ الطرق و الزوايا حول عدد من المسائل الدينية من بينها الممارسات الدينية و الطقوس الاجتماعية كانت منتشرة في المجتمع المغاربي.و كانت الزوايا تشجع و تعتبره من المعلوم من الدين بالضرورة. و لكن هؤلاء السلفيون الجدد رأوا فيها انحراف عن الدين الحقيقي.و وسيلة لتخدير الشعوب و إخضاعها للسيطرة الأجنبية .

فقد قامت السلفية الوطنية أولى معاركها مع الطرق و الزوايا فاعتبرت ممارساتها انحراف عن الدين الأصيل بالكثير من الخرافات والأساطير. كما "وجد الاستعمار فيهم ضالته المنشودة كأدوات تخدير للعقول وطمس للبصائر وتثبيط للهمم و استسلام للغالب الدخيل" .و كان لصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثل "الشهاب" و"البصائر" دورا كبيرا في دعم هذه الحركة نظرا لما كانت تصدره من مقالات للمغاربة بالإضافة إلى مجلة "المنار" لرشيد رضا و مجلتي" الفتح" و"الزهراء" لمحب الدين الخطيب .

بالرغم من أن أطروحة السلفية الجديدة أثارت الكثير من الجدل في الساحة المغاربية، فإنها لم

تكن جديدة تماما في المغرب العربي .و ليست هذه أول مرة تنفذ مثل هذه الأفكار إلى المغرب العربي مجتمعا .فقد ذكر علال الفاسي أن"الثورة الوهابية" قامت في المغرب العربي لأنه كان لها صدى استحسان و قبول لدى الكثير من المغاربة . ففي 1894 دخل الشيخ عبد الله السنوسي إلى المغرب العربي و حمل معه فكرة الجامعة الإسلامية.و ساهم في بلورة اتجاه سلفي جديد في أوساط النخبة المغاربية التقليدية.

لكن يبدو أن هذا الاتصال و التوافق الذي حدث بين هذه الدعوة و المغاربة في تلك الفترات كان من اجل دعم مسألة النهضة التي اهتم بها المغاربة الذين اعتبروا الجامعة الإسلامية مشروعا أصيلا لمواجهة الأطماع الأجنبية. و لذلك نجحت حركة عبد الله السنوسي على حد تعبير شارل أندري جوليان وكذلك لأن هذه السلفية لم تتخذ ذلك البعد الاجتماعي التحرري الذي ظهرت به فيما بعد عندما واجهت مؤسسات الزوايا و الطرقية،و الاستعمار الفرنسي في نفس الوقت. ففي هذه المرة لم يكن منطلق السلفية فوقيا و فكريا و فلسفيا كما كان الحال لجماعة السلفيين التقليديين.و لكنه كان قاعديا وعمليا،فقد كان من ورائها جماعة من النخبة المغاربية التي ظهرت في منتصف العشرينات من القرن العشرين التي تزعمت النضال الوطني التحرري.و اعتبرت" السلفية" تعبيرا عن الحمية الوطنية.و لذلك وقع هذا التداخل بين "السلفية" و الوطنية" التي أصبح بينهما علاقة عضوية في مرحلة الكفاح التحرري .بالرغم مما أثارت هذه العلاقة من خلاف و تأويل.فإنها في جميع الأحوال"الدعوة السلفية التي امتزجت بالدعوة الوطنية.و كان ذلك ذا فائدة مزدوجة على السلفية و الوطنية معا".على حد تعبير الكثير من المصلحيين الدينيين .وهي"السلفية الجديدة" .التي نجحت في المغرب العربي إلى درجة لم تحصل عليها حتى في بلاد محمد عبده و جمال الدين الأفغاني .

إن الحديث عن السلفية الجديدة في المغرب العربي يرتبط ارتباطا مباشرا بالنشاط الدعوي و العلمي الذي قام الكثير من المصلحيين المغاربة أمثال الشيخين عبد الحميد بن باديس و الإبراهيمي في الجزائر والشيخين شعيب الدكالي .و محمد بن العربي العلوي في المغرب و الشيخ الطاهر بن عاشور في تونس .فقد كان هؤلاء بدون منازع رواد هذا التيار السلفي الجديد في

المغرب.و خاصة و أن نشاطهم تزامن مع نهاية العديد من المقاومات الشعبية التي كانت دافعا حاسما ليقظة الشباب المغاربي فقد انتظم هؤلاء الشباب في مجموعات في عدد من المدن مثل فاس أين كان الشيخ العربي العلوي محورا لهم.و في الرباط حيث كان الشيخ أبي شعيب الدكالي،الذي لقب بـ"الشيخ عبده المغرب" ،مركزا لاستقطاب عدد من الشباب الآخرين.كما تأسست مجموعة أخرى في الشمال في مدينة تطوان.و قد كان لهذه المجموعات دورا كبير في نشر الوعي الوطني. بعدما أصبحت تتناول الشؤون العامة بأسلوب جديد لم يتعود عليه المغاربة.و قد تمثلت جل تحركاتهم و أنشطتهم في المحاضرات وتبادل الزيارات فيما بينهم وإقامة المناظرات العلمية.كما سعوا إلى تأسيس عمل صحفي من خلال إصدارالعديد من المجلات و الجرائد .و قد نسجت هذه المجموعات في بينها شبكة من العلاقات كبيرة بدأت في أول الأمر بنقاشات فكرية في بينها حول عدة مسائل متعلقة بالسبل و الطرق التي يمكن العمل بها ميدانيا.و قد كان لذلك أثر كبير على ظهور المنظومة الفكرية للسلفية الجديدة.بعدما اتفقت كلها على نفس التصور و المنهج.

من جهة أخرى فقد كان للنقاش الفكري الذي قامت به هذه الجماعات مع شيوخ الطرقية و الزوايا دورا كبيرا في بلورة فكرها و منهجها.بل كان ذلك مدخلها الأساسي للدخول إلى المعترك السياسي المغاربي ففي العديد من المرات ارتجل أحد هؤلاء الشباب كلمة في التجمعات الشعبية و في المساجد أو في مناسبات أخرى.ليوجه جملة من الانتقادات في حق الطرقية و شيوخ الزوايا.و قد أدى ذلك إلى وحدة في الرؤية الفكرية التي جمعت هؤلاء الشباب و حددت رؤيتهم المستقبلية. ففي المغرب الأقصى برز في هذه الحرب الأخوان محمد مكي الناصري و محمد بن اليماني الناصري.ففي سنة 1925 أصدر محمد مكي الناصري كتابا تحت عنوان "إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة"الذي كان بمثابة بيان للحركة السلفية الجديدة. و كذلك الأمر بالنسبة للشيخ عبد الحميد بن باديس و الإبراهيمي في الجزائر . فقد أصبحت أكثر عملية وانسجاما مع مقتضيات المرحلة التي كانت صراعا بين السلفية و الطرقية.فهذين الرسالتين كان لهما الأثر الكبير في نفوس الناس مما أدى إلى ثائرة الخصوم و حماتهم من المستعمرين.

لم تقتصر السلفية الجديدة على تقديم برنامجها في حالته النظرية فقط. و لكنها اتجهت إلى

مجال صياغة توجهاتها الفكرية إلى مقترحات و بنود يمكن أن تشكل برنامجا عمليا و متكاملا و قد مس عدة جوانب، منها الاجتماعية و الثقافية. .فحتى باريس أدركت القوة التعبوية التي أصبح يتمتع بها هذا التيار في المجتمع المغاربي .و على غرار" السلفية المجددة" اعتبرت السلفية الجديدة نفسها حركة وضعت هدف إصلاح الأمة المغاربية هدفا أساسيا لها وبالنسبة لأوضاعها آنذاك فإنه كان على هذه السلفيون الجدد أن يواجهوا مستويين من التحديات و هي الطرقية أولا،التي كانت سبب وجودهم،و محاربة الاستعمار ثانيا، إلا نهم على الجانب الثقافي منها لتقدريهم له بأنه سيصلح الجوانب الأخرى.

فقد قالوا أن"الطرقية من القسم الذي لا تقتضيه أصول الدين و لا تتناوله أدلة الشرع،و هذا ما يسمى بالبدعة و الضلالة و هو مردود على صاحبه لقيام البرهان على منعه من الكتاب و السنة" .فقد كانت مواجهة الطرقية بالنسبة السلفيون الجدد أهم مدخل من مدخلات إصلاح الأمة.لأن ذلك يؤدي إلى تحرير العقل من الجمود و الركون والغوص في الروحانيات المنحرفة. فإذا كانوا يعتبرون الدين الإسلامي عماد المجتمع. وأساس كل حركة، و منطلق أي تفكير، فإن الضرورة تقتضي تنقيته من تلك البدع و الخرافات التي ألصقها به شيوخ الطرقية الذين "حصلوا على مراكز عظمى في القلوب، و استعمروا متسعات كبيرة كانت فارغة في النفوس، لما لهم من القدرة على تملك المشاعر، و السيطرة على الإحساس والوجدان" .و لم يكتفي السلفيون الجدد بمحاربة الطرقية في جانبها النظري،و لكنهم قاموا بذلك عمليا من خلال التنقل إلى الأماكن التي كانت موعدا لتجمع الطرقيين لممارسة العديد من طقوسهم وعاداتهم مثل "الحضرة التي يوهمون بها الناس أنهم وقتئذ يكونون في حضرة الله تعالى،و ما هم إلا في حضرة الشيطان لعنه الله،و محى مددهم و عددهم" .و لم يتركوا هؤلاء مجالا ظهر فيه شيوخ الطرقية و إلا و بحثوا فيه و كشفوا انحرافاتهم التعبدية فيه.و إبعاده عن أي أصل شرعي صحيح سواء من القرآن أو السنة النبوية الشريفة.التي "يجب إتباع فضائلها كلها لأنها رأس الكمالات بأسرها أما الابتداع فهو رأس الفضائح و المصائب والسبب في اضمحلال الأمم و انحطاطها. "

فقد كان مقصدهم في التركيز على النصوص الشرعية هو التجديد الإسلامي الذي كان أصلا

مشتركا لكل الحركات السلفية،مع خلاف وسيلة تحقيقه.و هو بطبيعته مخالف لمضامين الطرقية التي كانت تتصف بالجمود و الركود و تجميد العقل." فالطرقيون و الحزب الرجعي يدعون إلى التوكل و الراحة و الركون إلى عدم العمل.و هذا هو غاية ما تتطلبه نفوس الكسالى.فهم يقصدون أقبح ما في الإنسان و هو الكسل و التوكل و حب الحطام" .أما "حزب الإصلاح فإنه يخاطب العقل أي أحسن ما في الإنسان.و يقول للناس جميعا إذا أردتم رضى الله فأعملوا بما في كتابه.و إذا أردتم الغنى فخذوه و اكتسبوه من وجوهه الشرعية. "

لقد كان مدخل السلفيون الجدد في المغرب العربي للمجتمع هو التعريف بالدين الصحيح و النقي الذي يحرك المجتمع المغربي نحو عزته و ازدهاره.و لذلك هاجموا الطرقية و شيوخها و أعطوا لذلك أولوية كبيرة.فالنسبة لهم مواجهة الاستعمار تبدأ بالقضاء على درعه الواقي في المجتمع المغربي و هم الطرقيون.لأن هؤلاء زرعوا الضعف و الهوان في النفوس فشلت هذه الأخيرة عن الحركة و رضيت بالذل و الهوان الذي جاء به الاستعمار.فقد أدى تواطؤ هؤلاء معه إلى فقدانهم صفة الوطنية عنهم التي كان معناها الوحيد آنذاك يؤدي لمواجهته لا التعاون معه . و قد اتخذت السياسة الاستعمارية في خطابهم، مجالا كبيرا في أدبيات السلفية الجديدة.فقد اعتبرته تحصيل حاصل لأوضاع المغرب منذ مطلع القرن العشرين.بما أصابه من جمود و تخلف في جميع المجالات.و بالنسبة إليهم فإن سيطرة جنس بشري على آخر لا تقبله طبيعة الإنسان و إلا إذا كانت منحطة.و لذلك قبل أن يستعمر المغاربة أصابهم تخلف و تقهقر حضاري كبيرين و بالنسبة لهم فإن الاستعمار ما كان له أن يحقق ما حققه من قهر و ظلم لو لم يجد من بين تلك الشعوب التي استعمرها من الدعم و المساندة من حيث لا يعلمون في غالب الأحيان فاستبداد تلك الشعوب من طرف بني جلدتها لتحقيق مصالحهم و أغراضهم التي تتنافى مع مصالح أممهم و شعوبهم. فالتدخل الأجنبي لم يتم في المغرب العربي بتلك السهولة أحيانا كثيرة لو لم يجد من الدعم و المساندة من طرف الأفراد و المجموعات. و ما قام به زعماء الطرقية يؤكد ذلك فالنسبة لهم الكثير من المكاسب التي حققها الاستعمار في المغرب كانت نتيجة دعم هؤلاء له. و قد كانت مقاومة الريف حاضرة في وجدان هؤلاء .فقد ساهم في ضرب هذه المقاومة و إضعافها كثيرا شيوخ الطرقية.

الذين قدموا الكثير من المساعدات للإسبان والفرنسيين لضرب هذه الثورة من الداخل .و قد ذكر ذلك الخطابي فيما بعد مسميا إياه بـ"تخلف و جهل شيوخ الطرقية".و اعتبرهم من أهم ما قصم ظهره و أفشل جهاده،لأنهم كانوا بين ظهرانيه.

قبل أن يكشف السلفيون الجدد الاستعمار في ممارساته الميدانية، قاموا بتحليله من الناحية الفكرية.و بصورة خاصة لما تم تسليطه على المغرب العربي بمختلف اشكاله سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بما يعرف بنظام الحماية.و لمواجهة الخطابات الاستعمارية التي كان الفرنسيون يستعملونها لتزيين صورة الاستعمار في المغرب العربي .

و هكذا و حتى عندما أراد الاستعمار تبرير أفعاله بالعلوم القانونية،فإنه في حقيقة الأمر قام بانتهاك كرامتها وتلطيخ شرفها و تزييف مبادئها .بالإضافة أن ما قامت به فرنسا ميدانيا هو "تجريد ذلك المغربي،المحكوم عليه بالبقاء تحت الحجر أبد الدهر،من حقوقه و مسه بالحرمان و التحريم في كل نواحي معيشته" . فقد فرض هذا النظام الأكثر بطلانا و نفاقا و إجراما من طرف دولة غاشمة على شعب من ضحاياها .إنه استغلال بلا حياء و كأن العالم يعيش في العهد القديم

لقد كانت مقاربة السلفيون الإصلاحيون الجدد في كشف الاستعمار نظرية بما جاء به من شعارات زائفة و مخادعة.و عملية بما قام به في أرض الواقع من ممارسات أضرت بالمغرب العربي مجتمعا و ثقافة و سياسة.و قد كان مدخلهم في ذلك الطرقية التي ساعدته ودعمته واعتبرته دعما لها وبذلك فالطرقيون "لا يعرفون للوطنية و الغيرة معنى.لأنهم لو كانوا كذلك ما عمدوا إلى مواطنيهم،الذين كانت نيتهم حسنة و ضميرهم طاهر،بمحض الشهوة و الهوى وقبلوا لهم ظهر المجن وأساءوا إليهم" . فقد"انتشرت طقوسهم بين العامة الذين هم كالأنعام،في كل الأمم والأقوام،و العجب دخولها على كثير ممن يدعون من الخواص والعلماء وانتصارهم لذلك،و كأنه من عزيز الكمالات في الدين الإسلامي" .فقد تعاونت الطرقية مع الاستعمار على قهر المغاربة،والحرص على تخلفهم، و ركودهم، و تقهقرهم، حتى أصبحوا في غالب الأحيان يهنئون به،ويعتبرونه أصلا ثابتا" فالعامة يمنعهم من الرجوع جزمهم بأن الحق مع من يقلدونهم و أن ما يقوله غيرهم بدعة محدثة".

بالنسبة للسلفيين الجدد أن"علاج الأمة الناجع و دوائها النافع" .سيكون بإصلاح أحوال

المجتمع المغاربي. فقد كان هذا الإصلاح ثالث همهم بعد الطرقية والاستعمار.بالرغم من أنهم من الناحية الميدانية كانوا يعملون على الجبهات الثلاث لتداخلها و تشابكها فيما بينها.و بعد تشخيص عميق لأحوال هذا المجتمع، توصلوا إلى أنه مصاب في عمقه بأزمة عميقة. و قد كان الاستعمار نتيجة و سبب في آن واحد، نتيجة لأن "المغرب العربي المريض" كجزء من العالم الإسلامي لم يستطع منذ نهاية القرن الثامن عشر أن يصلح أحواله بالرغم من المحاولات الهامة التي قامت بها السلطات المركزية ..بالرغم أنه كان يدرك تلك النتيجة المؤلمة التي انتهى إليها المغرب العربي بسقوطه فريسة للاستعمار بمختلف اشكاله .

ولكنه أصبح سببا عندما استغل الاستعمار هذه الظروف التاريخية،بالإضافة إلى اختلال موازين القوى بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط للسيطرة على العديد من الشعوب و بينها المغاربة.و بالرغم من انه حمل شعارات رنانة تضمنت العديد من القيم الحضارية من تقدم و رقي،و ما إلى ذلك.و لكن في حقيقة الأمر فإنه استغل المغرب ماديا و معنويا.و حرص على بقائه عاجزا لا يستطيع النهوض والحركة. لذلك حملت هذه السلفية الاستعمار مسؤولية تخلف الإنسان المغربي.ولم تقدر له أي دور في تطويره و ترقيته.كما آمنت بذلك السلفية المجددة.و طالبت به في أدبياتها لذلك كان الإنسان محوريا للسلفيون الجدد.فطالبوا بتطويره و تنميته و ذلك من خلال إحداث ثورة داخل المجتمع المغربي في عقائده الدينية و نظمه الاجتماعية و مبادئه العامة ." فعلاج الأمة الناجع فيها والدواء النافع لها،إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كلف في بدايته. "

و من ذلك فإن التوجه الإصلاحي الاجتماعي للسلفيين الجدد تميز بميزتين أساسيتين،فقد كان ذو طابع تغيري معياري عميق أولا.و ثانيا بمرجعية محددة فكريا تتمثل في المنظومة الإسلامية.و لكن بشرط إحيائها و تنقيتها من الشوائب والبدع والخرافات التي ألصقتها بها الطرقية.فقد كان ذلك شرطا منهجيا لهذا الإصلاح.ولتحقيق ذلك يجب إلغائها فلا وجود أصلا لطرق في الإسلام " لأنه بدونها خير منه بها.و ليست ضرورية لوجود الدين.لأنه تام بدونها فما الأحوج لها إذا.ولم يكن ناقصا قبل وجودها.والمنتمين إليها ليسوا أهدى ممن كان قبلهم من المسلمين،ومن معاصريهم

المسلمين الغير المتمسكين بها.و لم تأت هذه الطرق بشيء زائد على ما في الكتاب والسنة يحتاج إليها الإسلام والمسلمون". على حد تعبير صاحب "ضرب نطاق الحصار" محمد بن اليماني الناصري .

و قد اعتبر السلفيون دفاعهم عن المرجعية الإسلامية مرده لما فيها من قابلية للتجديد والتطور فمضامينها تملك من الخصائص ما لا تملكها منظومة أخرى ومن بينها باب الرأي و الاجتهاد الذي يعتبر أصلا من أصولها.و لو لم يطبق هذا الأصل في عدد من المحطات من التاريخ الإسلامي لاندثرت وانتهت هذه المرجعية.ففي العديد من الفترات التاريخية تمكن المغاربة من تطوير أنظمتهم الإسلامية،و تمكنوا من وسائل التطور حسب مقتضيات الحياة العصرية.و "ذلك عن طريق توسيع المبادئ والقواعد التي توجد في الشرع الإسلامي.لا بواسطة اقتباس الأنظمة من البلاد الأوربية اقتباسا قد لا يكون موفقا و لا تقتضي به مصلحة" .وفي رد السلفيين الجدد على من نسبوا تخلف مجتمعهم للشريعة الإسلامية.اعتبروا أن ذلك مرده إلى عصور التقهقر التي توالت على الإسلام.وأثقلت كاهله وأعاقته عن النهوض والتقدم.وما رافق ذلك من عجز و جهل و كسل للعلماء المسلمين الذي"أصبحوا في خشية من المسيطرين فانقلبوا بهذا مقلدين جامدين" .فالحضارة الإسلامية تميزت عن غيرها من الحضارات بمناعتها الداخلية و حيويتها.فعبر التاريخ الإنساني كل التجارب البشرية بحثت عن عناصر فكرية خارجية عنها كقيم مضافة حتى حققت الارتقاء.أما الأمة الإسلامية فإن نهضتها دائما تمت من خلال مقوماتها الداخلية التي كلما أعادت بعثها من جديد حققت تطورا. فالرقي والتقدم في الإسلام لم يبتعدا أبدا عن أصوله الأولى.و لم يهجر المسلمون نظامهم الأول في أصوله و كلياته."و قد يظهر هذا النظام من الخارج أنه جامد،و لكنه في حقيقة الأمر هو دقيق و يتطور حسب الضرورات البديهية . "

بالرغم من جذرية المشروع التغيري للسلفيين الجدد،فإنهم كانوا من أنصار مرحلية التغيير وآمنوا بأن ردود أفعال المجتمعات على مشاريع النهضة بطيئة جدا.ويلزمها الكثير من العمر من حياة الأمم،لا الأفراد.ومن خلال مقارباتهم التحليلية لأوضاع المجتمع،و في البحث في سبل تطويره،فإن رؤيتهم كانت مستقبلية بعيدة في مداها الزمني لأنها كانت موجهة للشباب الذي كانوا يعتبرونه ضمان التحرر و النهضة." فعلاج تلك الأدواء(جمع الداء) الفتاكة يجب أن تكون من جهة

الناشئة الحديثة...فلم تعرف قلوبهم تلك المفاسد ولا وضعوا زمام أمرهم في يد أحد فيقودهم حيث شاء،بل هم أحرار،فإذا ظهر لهم الحق لم يلبثوا أن يطيروا إليه".على حد تعبير صاحب " الإظهار..." .و بهذه الصفة فإن مشروعهم كان موجها للإنسان المغربي للنهوض به معنويا وأدبيا.وتحريره من كل القيود.وعلى رأسها أسباب الاستعمار الموجودة في نفوس المغاربة،حتى أصبحوا يعتقدون أن الاستعمار قدر لا يمكن لأي أن يبعده عنهم،بل السعي لذلك كفرو خروج عن الملة،كما كان يقول بذلك شيوخ الزوايا و الطرقية.و لذلك تحرير هذا الإنسان يبدأ من تحريره من نفسه الراكدة أولا.و إعادة بعث روحه الميتة.

فقد كان ذلك مقاربة جديدة للوطنية قامت بها السلفية الجديدة، حيث" امتزجت الدعوة السلفية مع الدعوة الوطنية.وكان ذا فائدة مزدوجة في المغرب الأقصى على السلفية وعلى الوطنية معا"حسب علال الفاسي .و سبل خدمة الوطن عديدة و إن أهمها إعلان الحقيقة في كل بلد و في كل زمان . وهو ما يمكن اعتباره مدخلا للفعل الوطني،من خلال النموذج الذي رسمه السلفيون الجدد لتصورهم و آمالهم .فقد حولوا الدين إلى محرك للوطنية الحقة التي تحرر الإنسان المغربي من الجمود والركود والانحرافات و البدع.و تحرر الوطن من الاستعمار.و يؤدي كل ذلك إلى تحرير هذا الإنسان المغربي فوق تلك الأرض المغربية.و هو نفس مشروع الثائر الريفي عبد الكريم الخطابي.الذي كانت البصمة الكبيرة في نشأة هذه السلفية الوطنية الصاعدة.و إذا كانت نهاية مقاومة الخطابي هزيمة عسكرية فإنها كانت تصعيدا نفسيا كبيرا لنخبة المدن التي أصبحت تسعى لتجاوز آثار ذلك الإخفاق .فقد أيقظت هذه المقاومة سائر المغاربة بعد أن أيقظت الحرب الكبرى بعضهم.

على عكس السلفية المجددة فإن السلفية الجديدة استطاعت أن تتحول إلى قوة اجتماعية بخطاب امتزجت فيه الحمية الدينية مع الحمية الوطنية.و توحدت من أجل تحرير المجتمع المغربي من الركود و الجمود اللذان كان من ورائهما شيوخ الطرقية والزوايا،والمتحالفين مع الاستعمار قلبا و قالبا.و لذلك أعلنوا حربا شعواء عليهم.فكشفوا ممارساتهم الضالة المضللة و كذلك فعلوا مع الاستعمار، للتعريف بحقيقة مسمياته المتعددة.و ممارساته الواحدة فسموها بـ" القبح الاستعماري"

الذي كان استغلال لقدرات المغرب البشرية والاقتصادية.فقد ظهر السلفيون الجدد " في وقت تكالب فيه العدو الفرنسي المحتل لنهب خيراته و إفساد هوية أهله بشتى وسائل الحرب،و لذلك وظف ضعاف العقول والأنفس والدين" .و لعلاج هذه الأوضاع اعتبرت السلفية الجديدة تحرير المغاربة من قيود الطرقيين مدخلا لمواجه الاستعمار.و لذلك اعتبروا الإصلاح فكرة و منهاج.وبالتالي أضحت السلفية المغربية بهذا المعنى خطابا وطنيا يقاوم الاستعمار ومخططاته الإستنزافية لقدرات الأمة من جهة،ويقاوم تدهور الأحوال الداخلية الذي حملوه جل مسؤوليته للطرقية،من جهة أخرى.يعتبر ذلك شكل من أشكال تأثرها بمبادئ الحركة الإصلاحية في المشرق العربي .

وبذلك تكون السلفية المغربية قد تأثرت بشكل كبير بمبادئ السلفية النهضوية في المشرق العربي.ففي كثير من الأحيان كانت دلائلهم و حججهم مما قاله جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.والشيخ محمد رشيد رضا و عبد الله النديم الإدريسي و محمد بدر الدين النعساني وغيرهم من الشخصيات .والأهم من كل ذلك أن السلفية الجديدة لم تجعل من نظام الحماية جزءا من حل أزمة المجتمع المغربي.بل على العكس من ذلك فالنسبة لها يعتبر الاستعمار سببا أساسيا لانهيار أوضاع المغرب مجتمعا و سلطة.و إزالته و تحرير المغرب من أهدافهم الأساسية.و من أسباب وجود قضيتهم.فمن أهم مظاهر"إعلان الحقيقة" إدانة الاستعمار و وصفه بالجريمة الكبرى،التي ترتكب باسم الحضارة و لذلك وجبت مواجهته لا مهادنته.أو البحث عن مواطن الاستفادة منه كما كان الحال بالنسبة للحجوي و جماعته.

و بالنسبة للحركة السلفية فإن أهم وسائل هذه المواجهة هي إصلاح أحوال الإنسان المغربي بتحريره معنويا قبل أن يكون ذلك ماديا.ففي سياق تحليل السلفية الجديدة لأوضاع المغرب اعتبرت الإنسان محور مشروعهم بتحريره من الطرقية المتحالفة مع الاستعمار.و لا يتم ذلك إلا بالنهوض بالمغاربة و تعليمهم و توعيتهم بكل المخاطر المحيطة بهم.و لعل سجالاتهم الكلامية التي كانوا يقومون بها مع شيوخ الطرقية في المساجد و الأماكن العامة كانت بغرض إحداث توعية عامة تمس كل الشرائح الشعبية.و إن كانت أولوياتهم مركزة على الشباب والناشئة.فحتى مناسبة صدور "بيان السلفية الجديدة" كان في سياق مواجهاتهم مع عدد من شيوخ الطرقية .و قد تعددت أسالب

الاتصالات التي كان السلفيون الجدد يقومون بها مع هذه الشرائح .من مناظرات علمية مع شيوخ الطرقية.و إصدارات متعددة الأوجه و المضامين.و أنشطة تعليمية في المدارس الحرة التي كانوا من وراء تأسيسها.فقد كان العلم بالنسبة لهم غاية و وسيلة و اعتبروه سلاح العصر الذي ارتقت به الأمم الأخر.و بلغت ما بلغته من العز والقوة.و لذلك اتجهوا كغيرهم من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي إلى المساهمة في بناء المدارس الحرة،و ترميمها والإشراف عليها،و التدريس بها تطوعا في غالب الأحيان.فقد كان إيمانهم بفاعلية سبيل التعليم مصدره مكانة العلم والعلماء في الإسلام الذي كان مرجعيتهم الأساسية.و في الكثير من الأحيان كان التعليم ممرا للوطنية . فالفكرة الإصلاحية التي تستهدف إصلاح الفرد "تطلبت أن يوجد الناطق بفكرة الإصلاح حيثما وجد موضوع الإصلاح نفسه،في المقاهي والأسواق،وفي كل ما تنكشف فيه العيوب الاجتماعية التي يدعو إصلاحها . "

لقد تحولت السلفية الجديدة إلى قوة اجتماعية.و أسست الكثير من المظاهر التنظيمية التي عبرت عن أفكارها.و تبنت منهجها التغيري.و أصدرت عدد من الصحف لتعريف العامة و الخاصة بأفكارها و مبادئها.و إذا كانت هذه الأخيرة موجهة ضد ثنائية الطرقية والاستعمار فإنها سعت كذلك لتحرير الإنسان من ركوده و جموده و تقليده.و تنقية قلبه من مفاسد الطرقية التي كانت تدعو النفوس للكسل وتقصد أقبح ما في الإنسان،و هو التوكل وحب الحطام . و كانت دعوة السلفيين الجدد موجهة لتحرير الإنسان المغربي عن طريق أحسن ما لديه و هو العقل .فقد عبر ذلك الطرح مالك بن نبي بقوله بأنه لا يكفي لهذا الإنسان المستعمر(بفتح الميم)القول بأنه غير قادر على التحرك لأن الاستعمار في بلده ،فذلك يعتبر "تلك العملة الشائعة التي يفسر بها حسنوا النوايا عجزهم .كما يستخدمها الدجالون للدفاع عن مشروعات الشعوذة والمخاتلة.و الاستعمار باسم قرير العين.مع أن اقل جهد في التأمل يكفي للقضاء على سبب كل ذلك و هو القابلية للاستعمار. " بعد انطلاق الحركة الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات واحتجاجها على السياسة البربرية الفرنسية،ظهر أن السلفية الجديدة كانت بحق رافدا أساسيا من روافد الحركة الوطنية المغربية.بل كادت أن تكون هي نفسها لتداخلهما مع بعضهما البعض.فكثيرا من المؤرخين و المعاصرين

للحركة الوطنية المغربية استعملوا مصطلح "السلفية" للدلالة على الحركة الوطنية المغربية،كما هو الحال لشارل أندري جوليان .

03/06 البعد الوحدوي المغاربي من خلال نجم شمال إفريقيا 1926-1937: من التنظير إلى التجسيد

تجسدت فكرة العمل المغاربي المشترك من اجل تحقيق الاستقلال للبلدان الثلاث تونس الجزائر والمغرب في تشكيلة سياسة جزائرية من حيث الولادة ومغربية من حيث المطالب والأهداف وهو نجم شمال إفريقيا، ونلتمس البعد الوحدي والدفاع عن وجود هوية مشتركة بين هذه البلدان من خلال النصوص والقوانين التي تأسس بموجبها الحزب ومختلف نشاطاته وظهر ذلك في صحافته والمؤتمرات التي شاركت فيها (مؤتمر بروكسل والمؤتمر الإسلامي بجنيف) وانضمامه إلى الجبهة الشعبية.

1/النضال المغاربي المشترك وتأسيس نجم شمال إفريقيا 1926:

إضافة إلى بشان البعد المغاربي نتعرض الآن إلى أول حركة وطنية مهيكلة كان لها عميق الأثر في توحيد النضال المغاربي ضد الوجود الفرنسي ونعني بها"نجم شمال إفريقيا" حيث بعثت فكرة الأمير خالد عن تأسيس جمعية غير مصرح بها "لمسلمي المغرب والجزائر وتونس" في مارس 1962 بعنوان نجم الشمال الإفريقي من طرف العمال المغاربة في المهجر، وانعقد أول اجتماع لها في 15 ماي 1926 في مقر "الكونفدرالية العامة للعمال" ثم انعقد الاجتماع الثاني في 02 جوان 1926 وفي 02 جويلية انعقد اجتماع للأعضاء بقاعة النقابة وفيه تأسست اللجنة المركزية وكان أعضائها من العمال والجنود والطلبة الذين يعيشون في فرنسا.

ومن الناحية النظرية كان رئيس الحزب هو الشاذلي خير الله، ولكن من الناحية العملية كان الحاج علي عبد القادر الجزائري هو الرئيس الحقيقي للحزب وميصالي الحاج الأمين العام وشبيلة الجيلاني أمين المال وضمت اللجنة المركزية أعضاء من كل مناطق الجزائر،

بعدما قامت فرنسا بطرد الشاذلي خير الله يوم 27 ديسمبر 1927 وأصبحت قيادة النجم جزائرية. تختلف الآراء والكتابات التاريخية حول نشأة النجم وعن التاريخ الدقيق لميلاد بين سنة 1924-1926 إلا أن الانطلاقة الحقيقية له كانت في عام 1927 حيث شهد فيها بروز الفكر الثوري الاستقلالي، ويرجعه شارل روبير اجيرون إلى شهر آذار 1926، أما الكاتبة الأمريكية غليسيبي تقول "وقام ميصالي في عام 1925-1926 بتأسيس حزب نجمة شمال إفريقيا وجعل غايته الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا من النواحي المادية والمعنوية والاجتماعية " وكان الحزب الذي يمثل العمال الجزائريين والتونسيين والمراكشيين في باريس يطالب منذ نشأته بالاستقلال للشمال الإفريقي كله".

أما أفكار حزب نجم شمال إفريقيا تمحورت حول العمل من اجل توحيد الحركة الوطنية الثورية في المغرب العربي حيث أكد الرئيس ميصالي الحاج بقوله " إن وحدة وتفاهم هذه العناصر الثلاثة الجزائريون والتونسيون والمغاربة تقود هذه الأقطار إلى طريقة التحرر، وكان التحرر الوطني والاستقلال يبدوان لغالبية المناضلين هدفا أولا.

2/مـن خـلال برنامجـه وقوانينـه:

تبنى النجم منذ ولادته الرسمية الدفاع عن حقوق العمال والمغاربة والدفاع عن قضية بلادهم المغرب العربي وجاء ذلك في القوانين الأساسية لجمعية النجم التأسيسية بتاريخ الأحد 20 جوان 1926 ونأخذ مقتطفات من هذا النظام الأساسي:

***المادة الأولى: أسس بباريس تجمع اخذ له اسم نجم إفريقيا الشمالية جمعية من المسلمين الجزائريين والتونسيين والمغاربة.**

***المادة الثالثة: هدف الجمعية هو الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية لمسلمي شمال إفريقيا...**

***المادة الرابعة: من واجب الجمعية توجيه مسلمي شمال أفريقيا نحو الأرضية الفرنسية لكي يعرضوا على الرأي العام تظلمات وشكاوي أهالي شمال إفريقيا...**

***المادة الخامسة: تضع الجمعية بيانا بالمطالب العاجلة والموحدة لكل من الجزائريين وتونس والمغرب وتسعى إلى تحقيقها بكافة الوسائل .....التي تؤدي إلى التحرير الكامل لمسلمي شمال إفريقيا.**

***المادة السادسة: إن جمعية شمال إفريقيا غير محسوبة على أي حزب أو أي شخص سياسي ولكنها تقدر موقف الفريق الذي يساند مطالبها ويساعدها على تحقيق أهدافها.**

والملاحظ من خلال هذه القوانين الأساسية الأولى أن النجم كان يطالب بحقوق كل المغاربة وبمجرد أول قراءة لنص النجم يتأكد لنا انتمائه الجهوي وليس القطري وذلك بالرغم من مظهره الجزائري لتنظيم فهو جمعية لمسلمي المغرب والجزائر وتونس .

إن الموضوع المركزي الذي تمحور حول التنظيم هو الدفاع عن شخصية المغرب العربي.

وفي مطلع 1927 تميزت أدبيات الحزب بإقرار "مبدأ الاستقلال " و"الثورة" و"وحدة الشمال الإفريقي"، وأدرجت هذه المبادئ في القوانين الأساسية لنجم لسنة 1927 وذلك في نصوص المواد التالية:

***المادة الثالثة: يتمثل الهدف الجهوي للجمعية في الكفاح من اجل استقلال بلدان شمال إفريقيا الثلاث تدين وتناضل ضد أي اضطهاد استعماري وتسعى بالخصوص للدفاع عن المصالح المادية، المعنوية، السياسية، الاجتماعية لسكان إفريقيا.**

***المادة الرابعة: تعد من اجل الجزائر المغرب تونس برنامج مطالب مستعجلة وتطالب بالاستقلال جميعا.**

***المادة الخامسة: بالتوازي مع جمعية الشمال الإفريقيين المتمركزة بفرنسا، تركز الجمعية جهودها خاصة من اجل تأسيس تنظيمات ثورية بشمال إفريقيا.**

المادة السادسة: يتعين أن يتجه كامل عمل نجم شمال إفريقيا لتوحيد الحركة الوطنية الثورية لشمال إفريقيا.....

كما نرى أصبح مبدأ الاستقلال قاعدة أرضية لنجم شمال إفريقيا ومنذ هذه السنة أصبحت أدبيات ومنشورات النجم تحمل "مبدأ الاستقلال لكل شمال إفريقية".

أعاد النجم النظر في قوانينه الأساسية في الجمعية المنعقدة بتاريخ 19 فيفري 1928 حيث نظم قواعد العمل بتأكيده في : مادته الثالثة: على أن النجم لا يقتصر على التكفل بالدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والسياسية والاجتماعية لسكان شمال إفريقيا وإنما يحدد لنفسه هدفا أساسيا وهو تنظيم الكفاح من اجل استقلال البلدان الثلاث لشمال إفريقيا ونص في المادة السادسة على "وحدة الحركة الوطنية الثورية في شمال إفريقيا".

وفي 22 مايو سنة 1933 انعقد اجتماع عام لجمعية نجم شمال إفريقيا وصودق على برنامج كان عبارة مطالب اقتصادية واجتماعية وثقافية خاصة بالجزائر وفيما يخص القوانين الأساسية للنجم فقد أجريت عليها تعديلات وبخاصة في إستراتيجية العمل لوحدة المغرب العربي إذ أدمجت المادتان الثالثة والرابعة من قوانين 1928 في المادة الثانية من القانون الجديد ونصت على أن : " هدف جمعية نجم شمال إفريقيا الأساسي هو : الكفاح من اجل الاستقلال الكامل لبلدان افريقية الشمالية الثلاثة الجزائر والمغرب الأقصى وتونس ووحدتها، ويظهر أن البرنامج الجديد جاء ليؤكد ضرورة تكريس العمل لتوحيد المغرب العربي وتوحيد الحركة الوطنية من الناحية الإيديولوجية بعد جمعية 1933 وتمثل في الآتي:

-الاستقلال الكامل لشمال افريقية

-الدفاع عن الدين الإسلامي.

-وحدة كل مسلمي شمال افريقية.

كما جاء أيضا في برنامجه الانتماء بظل الأحزاب التي تعطف على قضية "المغاربية"

-العمل على مستوى شمال إفريقيا ك

-التضامن مع الحركات التحررية في المغرب الأقصى وتونس ببرقيات تأييد وفي إطار هذا البرنامج عرفت العلاقات بين الحركات الوطنية المغاربية تواصلا وتضامنا.

في فيفري 1935 تم حل النجم المحيد لكنه أعاد تأسيس نفسه مباشرة تحت اسم "الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا" وتم إيداع القانون الأساسي للجمعية في مقاطعة

....بتاريخ 28 فيفري1935 وأوضحوا فيه غرمهم على المضي في العمل للدفاع عن المصالح الوطنية والمادية والاجتماعية والسياسية لمسلمي شمال إفريقيا وجاء في القانون الأساسي للجمعية:

المادة1-تأسست بموجب هذا القانون جمعية الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا وهي تضم مسلمين من شمال إفريقيا، ومقرها باريس.....

المادة2-الهدف من هذه الجمعية هو تحرير مسلمي شمال إفريقيا ماديا وروحيا.

المادة3-الجمعية:

ا-ستحتضن مسلمين من كامل شمال إفريقيا، وستعمل على تربيتهم تربية وطنية، واجتماعية.

ب-ستدافع عن مصالحهم الوطنية والمادية والروحية والسياسية والاجتماعية.

3/قضية المغرب العربي في المحافل الدولية

ا)مؤتمر بروكسل سنة 1927:

وفي سنة 1927 شارك النجم في مؤتمر بروكسل وحضره ممثليه ميصالي الحاج والشاذلي خير الله قدم ميصالي الحاج مطالب التونسيين كممثل للحزب الدستوري ودافعا الاثنان عن قضايا المغرب العربي حيث دعا النجم إلى جمع كل القوى الوطنية لمقاومة الاستعمار الفرنسي من خلال توحيد بلدان المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب اقتصاديا وعسكريا وفي الكلمة التي ألقاها ميصالي الحاج تشديد على استقلال شمال إفريقيا ومما قاله في شان الاستقلال "لقد كافحت القوى الكادحة لشمال إفريقيا ضد السياسة الاستعمارية وضد القمع وهي اليوم تخوض كفاحا مستميتا وبشتى الوسائل التي بحوزتها من اجل تحقيق الهدف العظيم للاستقلال".

يعتبر المؤتمر محطة مهمة في نشاط الجمعية ونقطة تحول في مساره حيث كتب الشاذلي خير الله مقالا في جريدة "الإقدام" التي صدرت بعد المؤتمر تحت عنوان "حق الشعوب في تقرير مصيرها" ونقتطف هذه القطعة من المقال "وهكذا حقا أن الشعوب التي

تتألم هي نفسها التي تكافح وجماهير الشمال الإفريقي التي اجتازت مرحلة الألم قد دخلت ابتداء من مؤتمر بروكسل في طور دقيق من كفاحها في ميدان الإيديولوجية الثورية".

من خلال هذا المؤتمر عرف نجم شمال إفريقيا بنفسه على الصعيد الدولي وأكد على وصفه كمنظمة مناهضة للامبريالية تختلف عن سابقتها وتطالب باستقلال البلدان المغاربية الثلاث، وحسب التقرير الذي قدمه شاذلي خير الله l'Afrique française جوان 1927 "فيما يخص نجم شمال إفريقيا فقد قدم للمؤتمر مقررة من أكثر المقررات قوة وأكد في هذه المقررة وفي الخطاب الذي ألقاه ممثلوه على منبر المؤتمر إرادته الراسخة في مواصلة الكفاح بمنهجيته وثبات من اجل استقلال شعب نجم شمال إفريقيا .....ولم يهمل وفدنا المطالب الفورية التي ستكون أرضية لعمله ومرحلة نحو تحرير بلدان شمال إفريقيا الثلاثة.....".

أقامت جمعية نجم شمال الإفريقي تجمعا شعبيا في فرنسا عرفت فيه نشاطها في المؤتمر وبعد قراءة التقرير اخذ الكلمة شاذلي خير الله الذي كان يرأس الجلسة فنوه بأبطال الشمال الإفريقي وان الجمعية ستستعمل جميع الوسائل للوصول إلى تحقيق غايتها ....وان عملها مرتكز على الجماهير الشعبية المتبقية بقوتها وإرادتها على الاستقلال و ختم كلامه بنداء لجميع الإخوة التونسيين والجزائريين والمغاربة أن يقفوا صفا إلى جانبهم لتخلص من براثن الاستعمار.

كما جاء على لسان ميصالي الحاج عقب مشاركته في هذا المؤتمر "إننا قد عرفنا الرأي العالمي ببرنامج الاستقلال السياسي وبوحدة شمال إفريقيا" ولم يلب ثان أدرجت هذه العبارة في نفس السنة في القوانين الأساسية إذ أصبحت المادة الثالثة تنص على انه "من أهداف الجمعية الأساسية تنظيم الكفاح من اجل استقلال بلدان إفريقيا الشمالية الثلاثة"، ومن هذه السنة أصبحت أدبيات ومنشورات النجم تحمل "مبدأ الاستقلال لكل شمال افريقية" لقد اقر النجم عمليا "مبدأ الاستقلال وفكريا" مبدأ الثورة واستراتيجيا "مبدأ وحدة الشمال الإفريقي".

ب/المؤتمر الإسلامي بجنيف 1935:

بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي الأوروبي في سبتمبر 1935 بجنيف شارك ميصالي الحاج وعمار خيدر باسم شعوب شمال إفريقيا حيث صور حالة المسلمين بها افتتح المؤتمر برئاسة شكيب ارسلان رئيس لجنة التنظيم، عرض الرئيس الوضعية العامة للإسلام قبل وبعد سقوط الخلافة وحث المسلمين على التضامن والتوحد فيما بينهم، وبالنسبة لممثلي النجم تناولو الكلمة بالفرنسية من اجل وصف الوضعية المزرية التي يعاني منها إخوانهم بفرنسا. وجاء في نشرة لدائرة الاستعلامات الفرنسية في باريس عام 1935 ما يلي:

"إن نجم الشمال الإفريقي قد اخذ أبعاده وشهرته منذ الدور الذي لعبه ميصالي الحاج في المؤتمر الإسلامي الذي عقد بجنيف في شهر سبتمبر 1935 ففي هذا المؤتمر .....مدير النجم عرف كيف يفرض على المؤتمر قبول مختلف عروضه لصالح مؤسسته إذ أن مجمل التصاريح التي صرح بها المؤتمرون كانت في صالح الحكومة التي يمثلها وصف....العبودية التي يقاسي منها أهالي شمال إفريقيا الذين حرموا من كل حقوقهم بواسطة الامبريالية الفرنسية".

4/ وسائل نجم شمال إفريقيا في دعم تحرر بلدان المغرب العربي:

ا)الصحافة: من مظاهر النجم الوحدوية المغاربية هي تلك المنشورات والجرائد التي يصدرها تباعا، وكانت الصحافة وسيلة للدعابة والتعريف والتوجيه وأحيانا للصحيفة هي نفسها تمثل برنامج ومركز انطلاق، وجرائد النجم هي كالتالي:

- جريدة الإقدام الباريسي: جريدة شهرية أسست للدفاع عن مسلمين شمال إفريقيا، هكذا كان شعارها وهي أول صحيفة لنجم صدرت في 1926، كانت تنشر المبادئ التي تم التأكيد عليها خلال الاجتماعات الأولى لنجم: استقلال شمال إفريقيا وإجلاء القوات الفرنسية منها، وتشكيل حكومة ثورية وتذكر بعض التقارير أنها كانت عبارة عن الدعوة ضد فرنسا إذ عنونت في احد أعمدة عددها الثاني في ديسمبر 1926 جانفي 1927،

ضد الامبريالية الفرنسية من اجل استقلال شمال إفريقيا وفي موضوع آخر بـ:"لالنير الفرنسي: يلزمنا الاستقلال" وقد عطلت في أول فبراير 1927 لوجود صفحة فيها بالعربية لان العربية لغة غير معترف بها في فرنسا.

-إقدام شمال إفريقيا: وهي جريدة اعنف من سابقتها صدر منها ثلاث أعداد فيما بين ماي-سبتمبر1927 وكانت صريحة في مطالبتها بتوحيد جهود المغاربة من اجل التصدي للإدارة الامبريالية الفرنسية" فقد دعت في احد أعدادها إلى استقلال البلدان المغاربية الثلاثة قائلة: "إن استقلال بلد من هذه البلدان لا يتم إلا بمؤازرة البلدين الآخرين له، يجب أن يهتم كل بلد من هذه البلدان باستقلال البلدان الثلاثة.....حتى ينتصر الكفاح من اجل استقلال شمال افريقية لكنها لم تنجح في أن تضمن الخلف بسبب لهجتها الحادة وكان مصيرها مصير سابقتها نفسه.

-إقدام نجم الشمال الإفريقي: فيما بين 1927-جويلية 1928 وكانت كسابقتها في الدفاع عن مصالح العمال المغاربة وقضايا المغرب العربي والدعوة إلى وحدته واستقلاله وزعت هذه الجريدة على المغاربة في فرنسا وبلدان المغرب العربي حيث وصل سجنها إلى 3000 نسخة،ويعود هذا النجاح في الانتشار والتوزيع إلى لجان "أحباب الإقدام" التي أسسها مكتب النجم والتي كان لها فروع في تونس وفي عددها الأخير أصدرت بيانا من خلال أعمدتها تدعو فيه المغاربة إلى الوحدة والتجند ضد حرب المغرب الأقصى قائلة: "إخواننا الشمال أفارقة، لننظم أنفسنا في جبهة واحدة ضد الامبريالية، وكرجل واحد ضد الحرب في المغرب الأقصى ومن اجل استقلال بلداننا" ونظرا للاندفاع النشيط لحزب ضد الاستعمار قامت السلطات الفرنسية بحل الحزب في 20 نوفمبر 1929.

4-الأمة: بعد حل النجم اصدر مناضلي الحزب جريدة الأمة باللغة الفرنسية في أكتوبر 1930 وورد في ديباجتها "جريدة وطنية سياسية للدفاع عن سلمي شمال إفريقيا" ومؤسسها ومدبرها السياسي هو ميصالي الحاج، وعياش عمار رئيس تحريرها وأصبحت شهرية منذ عام 1933 كانت توزع في باريس ويرسل عدد منها إلى الجزائر وتونس سر

وكانت معظم مقالات الأمة تهدف إلى تدمير الامبريالية وان النجم سيحارب من اجل أن لا يقع أبناء شمال إفريقيا في فخ الدعابة الامبريالية، وورد في عدد سبتمبر 1931 بإمضاء ميصالي"إن وحدة ووفاق العناصر الوطنية الثورية الثلاثة: المراكشيون والتونسيون والجزائريون سيؤدي لا محالة بالمغرب الأقصى وتونس والجزائر إلى طريق الاستقلال، وفي مقال آخر عدد جانفي –فيفري 1932 جاء: "أيها التونسيون ، المراكشيون والجزائريون، توحدوا ولتكن بيننا الثقة، لنعمل جميعا يدا في يد من اجل انتزاع حريتنا...." وهكذا استمرت جريدة الأمة تحمل أخبار الحركة الوطنية وشعارات النجم، وقد بلغ ما كانت تطبعه أربعة وأربعين ألف نسخة سنة 1934، واستمرت في الظهور في ظروف مختلفة حتى سنة 1939 في شهر جوان حيث هاجمت الشرطة الفرنسية في باريس مقر الجريدة واحتجزت نفسها.

ا) المناشيـر:عمل النجم منذ تأسيسه على توزيع المناشير التي طرح فيها مبادئه أودعا فيها إلى مقاومة الامبريالية الفرنسية وتوحيد شمال إفريقيا وطبيعة هذه كانت إما احتجاجية فاضحة للسياسة الاستعمارية أو داعية إلى تجمعات وحملت في محتواها البعد المغاربي ونقتصر على التعريف ببعض النماذج الأولى منها :

افتتحت الجولة الأولى بمنشورين باللغتين العربية والفرنسية، الأول إلى تجمع يوم 14 جويلية لفضح مناورات للاستعمار بمناسبة افتتاح مسجد باريس تحت إشراف ملك المغرب وباي تونس لتغطية أعمال القمع التي يقوم بها الاستعمار من نفي الأمير خالد واعتقال الأمير عبد الكريم ومحاكمة الصحفي التونسي عمر بن غفراش.

وفي نفس السنة 1926 وزع المنشور الثاني في تونس سلم يد بيد، عارض النجم في هذا المنشور التجنيد الإجباري لمسلمي شمال إفريقيا إلى جانب فرنسا ضد إخوانهم أهل الريف في المغرب الأقصى "أيها الإخوة التونسيون إن هذا الظلم والباطل لا يعدان شيئا.....فهي تجند أبناءنا وإخواننا بالقوة ليقاتلوا أهل الريف في المغرب ....بينما ندين بالدين نفسه وأوصلنا واحد، ونعاني من نير الأمة نفسها....فمن واجبنا عدم ارتكاب

جريمة العار ونمنع أبناءنا من قتل إخوانهم ....وليكن شعارنا، تسقط فرنسا المستبدة ! عاش استقلال شمال إفريقيا ! عاشت جمهورية الريف !".

كما اصدر النجم في سنة 1927 منشور بعنوان: "من اجل استقلال شمال إفريقيا" دعا فيه جميع المغاربة إلى التصدي من اجل إيقاف الحرب في المغرب الأقصى ووزع المنشور في بلدان المغرب العربي، إذ تحصلت أجهزة امن النظام الفرنسي على رزم الواحدة منها تحتوي على عشرين منشور، كانت في طريقتها إلى جماعة " الدستور بتونس" وأشاد المنشور بانتصارات المقاتلين التي تمكنهم من انتزاع استقلال المغرب الأقصى وتحريض مسلمي شمال إفريقيا على إعانة إخوانهم المراكشيين ومقاطعة الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي ودعا إلى وحدة مسلمي المغرب وانتهى بعبارات " عاش أبطال استقلال المغرب ، عاش كفاح مسلمي شمال إفريقيا! من اجل تحريرهم! توقيع جمعية نجم شمال إفريقيا.

وفي سنة 1928 اصدر النجم منشور بعنوان الكفاح ضد الامبريالية الفرنسية وجه إلى الجزائريين استعرض فيه السياسة الاستعمارية ما يقارب قرن من الزمن ودعا فيه إلى توحيد الجهود لنيل الحريات والوقوف ضد إرسال قوات الأهالي إلى الخارج ضد حرب المغرب ودعاهم لمكافحة الامبريالية، والانخراط الجماعي في نجم شمال إفريقيا.

احتج النجم في نفس السنة ببيان بعنوان "من اجل استقلال شمال إفريقيا !" ضد الحرب في جبل الأطلس المغربي تافيلالت ومساندة كفاح المغاربة ".....أيها الإخوة الشمال إفريقيون ! أيها الإخوة التونسيون كثير مجندون بالقوة في جيش الامبريالية .....ادعموا الوطنيين المغاربة عن طريق عودة الجنود التونسيين وبقائهم في تونس، أيها الإخوة المغاربة! .....التحقوا بإخوانكم المقاتلين لاسترجاع أراضيكم..... أيها الإخوة الشمال إفريقيون ! .....لننتفض كرجل واحد ضد حرب المغرب من اجل استقلال بلادنا ! عاش المغرب مستقلا! عاشت إفريقيا الشمالية حرة

ج/الرسائـل: لقد أراد أعضاء النجم نقل أهداف جمعيتهم إلى كل المغاربة في فرنسا ووسعوا نشاطهم في منطقة المغرب العربي وذلك بمراسلة الوطنيين ورجال العلم والسياسة المغاربية، ولدينا رسالتان تؤكد ذلك.

تخبرنا رسالة 07 ديسمبر 1927 أنها رسالة شبيلة الجيلاني الذي كان في تلك الفترة أمينا لنجم شمال إفريقيا إلى مراسل مغربي وجاء في الرسالة "لقد راسلناكم بهدف ربط علائق معكم.....من اجل اطلاعكم على الأهداف السياسية التي تتبعها الجمعية ....يجب على شعوب شمال إفريقيا أن تنهض، لكن لا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة عن طريق سياسة التعاون لان الفشل في هذه الحالة مؤكد، بل بواسطة سياسة وطنية خالصة تعتمد على مقاومة الاستعمار .....باتحاد المغاربة والجزائريين والتونسيون فقضيتهم واحدة ضد عدوهم المشترك ....لقد حان الوقت الذي يجب علينا وضع حد للعمل الممارس ضد مصلحتنا المشتركة....".

أما الرسالة الثانية فهي من رئيس النجم وحملت تاريخ "باريس 1927" وهي موجهة إلى السيد عبد الله كنون بطنجة وجاء في ديباجتها :"لا قوة إلا بالاتحاد ولا استقلال إلا بالجهاد وتقول الرسالة انه من الواجب إظهار الجهاد في سبيل الحرية وان كل وطني مغاربي، مراكشيا كان أو تونسيا أو جزائري يشعر بميل إلى من يشاركه الألم، والنجم أسس لهذه الغابة لتمثيل الروابط بين المغاربة في سبيل الاستقلال السياسي والاقتصادي، وان سبب فشل حرب الريف هو عدم وجود التضامن بين سائر أعضاء الجسم الواحد وهو نفس السبب الذي دفع إلى تأسيس النجم، واختتمت الرسالة بدعوة كل الوطنيين في المغرب العربي إلى التعاضد لتأسيس "حزب وطني قوي يعزز قوة إخوانهم" وحثت الرسالة عبد الله كنون على تأسيس حزب مع الوطنيين في المغرب الأقصى وربط العلائق والتنسيق مع النجم.

5/نجـم شمـال إفريقيـا والجبهـة الشعبيـة

أول منظمة انخرطت في التجمع الشعبي أي الجبهة الشعبية هي نجم شمال إفريقياحيث جاء في جريدة الأمة لسان حال النجم تحت عنوان" الواجهة الشعبية في الحكم، ونجم الشمال الإفريقي:"أن النجم أول من قام في صف الجبهة الشعبية وأيدها وخاصة يوم مظاهرات 14 جويلية 1935 حيث حضر نحو سبعة ألاف شمال إفريقي حاملين علم ولوائح النجم منادين حرروا شمال إفريقيا، تحيا الحرية.." وشرح ميصالي الحاج معنى هذا الانضمام: "إن الأمر لا يعني بالنسبة إلى الشمال الإفريقيين أن يصبحوا فرنسيين ولكن أن يبقوا شمال إفريقيين".

وتبعا للمبادئ التي أعلنتها حكومة الجبهة الشعبية "خبز، السلام،الحرية" وخاصة الخطاب الذي ألقاه "ايرو" في تجمع ببوفالو في 14 جويلية 1935 مفاده أن الجبهة الشعبية تناضل من اجل أن تنشر هذه الحريات بإفريقيا الشمالية... استنادا إلى هذا المبدأ في سنة 1936 من فيفري قدم النجم بالاشتراك مع لجنة الدفاع عن الحريات بتونس ولجنة الدفاع عن مصالح المراكشيين إلى الجبهة برنامج مطالب المستعجلة بقصد تحقيقها في شمال إفريقيا. تضمن البرنامج عدة مجالات وركز على المجال السياسي و" الدفاع عن وجود هوية مشتركة لشعوب المغرب العربي" ونستعرض مقتطفات من هذا البرنامج وهي كالتالي:

-المطالـب السياسيـة:

من اجل مصلحة كامل سكان شمال إفريقيا:

2-إلغاء كافة القوانين الخاصة وكافة الإجراءات الاستثنائية من قبل:

ا-الظهير البربري في المغرب

ب-قانون الأهالي وقوانين للغابات في الجزائر

ج-كافة المراسيم الآثمة بتونس

3-منح الحريات لديمقراطية ومنها:

د-حرية الفكر-لا يتعين أن يتعرض أي مغربي، جزائري أو تونسي للمضايقة بسبب أرائه السياسية، العقدية أو الدينية.

ونصت المطالب الاجتماعية على تطبيق قوانين حماية العمال على عمال شمال أفريقيا، أما عن الصحة فقد طالب النجم بحماية الطفولة وتأسيس بكل من تونس والمغرب والجزائر محاكم للأطفال.

ومما جاء في المطالب الاقتصادية وتخفيض المرتبات الضخمة المرهقة لميزانية الأقطار الثلاثة وإحداث نظام جمركي لصيانة المنتوجات والصناعات المحلية في شمال إفريقيا وإصلاحات متنوعة تضمنت إلغاء الأحكام العرفية بالمدن المغربية (فاس، مراكش، مكناس....)، وإلغاء المناطق العسكرية بالجنوب التونسي والجزائري وإلغاء التبشير في شمال إفريقيا والكف عن دعم المذهبين الكاثوليكي والبروتيستاني.....وتوصي الهيئات الممثلة لسكان شمال إفريقيا بما يلي:

1-إنشاء في كل بلد من بلدان شمال إفريقيا جمعية تأسيسية تنتخب بالاقتراع العام وبلديات منتخبة بالاقتراع العام أيضا وفصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية من بعضها....

دعم النجم برنامجه هذا بتجمع استعراضي لأكثر 4000 شخص كانوا يرددون "حرروا إفريقيا الشمالية، حرروا سوريا، حرروا العالم العربي حيث ربط احتجاجه ضمن احتجاجات العالم العربي، ويواصل حزب النجم نضاله المغاربي بتوجيه رسائل إلى قادة الجبهة من اجل النظر بجدية إلى رغبات المغاربة وحقهم المشروع في الحرية، كتب ميصالي في إحدى الرسائل:"إن منظمتنا نجم الشمال الإفريقي وهي بداخل الجبهة الشعبية عضوا في التجمع الشعبي....أنها تقاوم أيضا من اجل أن تشمل هذه الحريات مختلف بلدان الشمال الإفريقي ....فهي تجمع عمال شمال إفريقيا وتناضل من اجل التحرر... هل الجبهة الشعبية تحتاج لتشكيل لجنة تحقيق لمعرفة الوضع بشمال إفريقيا؟ هل تجهل وجود نظام دكتاتوري في تونس؟ وان شعب الجزائري يعاني من شقاء كبير، وان المغرب يجتاز أزمة

تحتاج لإجراءات فورية؟.....". **وأمام صمت الجبهة الشعبية وتجاهلها التام للبرنامج الذي قدم لها جعل نجم شمال إفريقيا يثور مرات عديدة على تباطؤها، ولهذا فان شهر العسل بين النجم والجبهة لم يستغرق طويلا، لان الجبهة لم تكن مستعدة لحل الإمبراطورية الفرنسية ومنح الاستقلال لمستعمرتها وأخذت العلاقات تفتر بين الطرفين تدريجيا إلى أن حلت الجبهة النجم وكان للشيوعيين دور في هذا الإجراء حسب مصدر للنجم، لان هذا الأخير رفض الموافقة على إرسال جزائريين إلى الحرب الأهلية الاسبانية بدون تعهد من حكومة الجمهورية الاسبانية بمنح الاستقلال لريف المغربي، وفي 26 يناير1937 أصدرت الجبهة قرار بحل النجم إلا أن هذا القرار لم يوقف من عزيمة ميصالي الحاج ومؤيديه ولم ينهي مشروع وطني مغاربي تم التخطيط له لسنوات عديدة بل أعطى أملا آخر لإعادة بعث النجم من جديد ولكن باسم ومضمون جديد حمل مبادئ ومطالب قديمة وهو حزب الشعب الجزائري الذي تأسس بتاريخ 11 مارس 1937 .**

عملت حركة النجمة وفق إطار مغاربي وضعت في رأس اهتماماتها تحرير المغرب العربي من الاستعمار، وبرز ذلك من خلال نصوصها والبرنامج والمطالب الثورية التي نادت باستقلال شعوب شمال إفريقيا، ومشاركة الحزب في المحافل الدولية كمؤتمر بروكسل والمؤتمر الإسلامي بجنيف حيث طرح قضية هذه الأقطار الثلاث للمطالبة بحقهم المشروع في الحرية، كما انضم إلى الجبهة الشعبية في فرنسا من اجل أن تمنح هذه الأخيرة الحرية لبلدان المغرب العربي، واستعمل النجم الصحافة والمناشير والرسائل كوسيلة لدعوة إلى الوحدة المغاربية وتحقيق الاستقلال.

04/06 الاتجاه الوحدوي المغاربي لحزب الشعب الجزائري / 1937-1946.

كان لحزب نجم شمال إفريقيا دور بارز في الدعوة إلى استقلال الأقطار الثلاثة الجزائر تونس والمغرب غير أن قرار حمله من طرف السلطات الفرنسية لم يمنعه من مواصلة

نشاطه تحت اسم جديد "حزب الشعب الجزائري" الذي تأسس سنة 1937 وقد روج للقضية المغاربية في مناشيره ولا سيما مبادرته الوحدوية في تأسيس لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا وميثاق الجبهة المغربية 1954 وتطورت أفكاره مع تأسيس حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي دعت هي الأخيرة إلى الوحدة المغاربية لاستقلال شمال إفريقيا وظهرت وحدويتها في الخارج من خلال مؤتمر المغرب العربي ومكتب ولجنة تحرير المغرب العربي وتبنت قضايا المغرب وتونس في مؤتمراتها وساهم أنصار الحزب في الدعوة لنضال المغاربي المشترك.

في 11 مارس 1937، أسس مصالي الحاج حزب الشعب الجزائري بباريسوقد استمد الحزب نظامه من حزبي الدستور التونسيوالحزب الوطني المراكشي، ورث خلايا نجم شمال إفريقيا، وكان لرئيسه اتصال كبير بإخوانه في مراكش وتونس، حيث صرح ميصالي الحاج" إلى غاية هذا اليوم كان نجم شمال إفريقيا يفهم بأنه لابد أن يكرس جهودهم للدفاع عن شمال إفريقيا كلها ومع حزب الشعب الجزائري، أردنا أن تخص أنشطتنا الجزائر مع إبقاء علاقتنا مع تونس والمغرب".وعلى غرار هذا قام ميصالي الحاج بعد تأسيس الحزب بتوثيق اتصالاته مع زعماء الحركة القومية في تونس، حيث طالب بتحقيق الشخصية المغاربية حيث كان لهذا الحزب فروع تونسية وكان ينشط فيه تونسيين.

و في إطار دعوة حزب الشعب الجزائري إلى الوحدة المغاربية وجهت مجموعة من مناضليه " نداء إلى إخواننا الوطنيين بالمغرب الأقصى" في شهر افريل 1937 من خلال جريدة الأمة لأبي اليقظان يناشدون فيه أبطال كتلة العمل المغربية بضرورة الانضمام والاتحاد لبناء دعائم وحدة شمال إفريقيا ومحذرين من الشقاق والانقسام الذي هو في خدمة المستعمر.

وعلى غرار ذلك دعا حزب الشعب الجزائري إلى ضرورة تكوين جبهة موحدة بين التونسيين والجزائريين والمراكشيين للنضال ضد الجبهة الامبريالية وقد لبت الأحزاب المغاربية هذه الدعوة في شهر جويلية 1937، حيث اجتمعت الأحزاب الثلاثة حزب

الشعب الجزائري والحزبين الدستوري التونسي والحزب الوطني المغربي، وعقد اتفاق يؤكد على التضامن الشمال الإفريقي.

والتف مناضلي حزب الشعب حول جرائد حزبهم لمعالجة قضيته الجزائر أو المغرب العربي ككل كجريدة الأمة أو الشعب أو البرلمان الجزائري ولما صودرت جرائدهم توجهوا بمقالاتهم إلى الجرائد التونسية جريدة "تونس الفتاة" و"العمل التونسية" عالجوا على أعمدتها قضايا الجزائر والمغرب العربي.

ويعودة عبد العزيز الثعالبي إلى تونس من المهجر، كتب جريدة الشعب في عددها الأول في 27 أوت 1937 تحت عنوان "زعيم الأمة يوحد صفوفها" مغتبطة من الوفاق الذي سيكون بين الهيئتين الدستوريتين على اثر الاجتماع الذي عقد بين الهيئتين، وجاء نص ذلك "وعلى أي شكل يكون الوفاق، فنحن مغتبطون به ولنا وطيد أمل وعظيم الثقة، في رجل يدعو لوحدة الشمال الإفريقي أن يكون في دائرة عادلة لتوحيد الواجهة الوطنية بشقيقتها تونس المفداة".

وقام حزب الشعب بتهيئة تونس بعودة الزعيم الثعالبي حيث ألقى العضو البارز في حزب الشعب مفدي زكرياء قصيدته بعنوان"الشمال الإفريقي يتحد". وفي تجمع بعنابة يوم 29 أكتوبر 1937 قام خطباء حزب الشعب الجزائري بشجب السياسة الاستعمارية والقمع واجتيحوا ضد القمع الذي ينهمر على الجزائر والمغرب وعبروا عن تضامنهم مع إخوانهم المغاربة علال الفاسي ورفقائه الشجعان.

وفي 20 نوفمبر 1937 دعا حزب الشعب الجزائري إلى إضراب رمزي من الساعة 11 إلى 12 احتجاجا على الأحكام العنصرية التي أصدرتها المحكمة الفرنسية على زعماء الحركة الوطنية في الأقطار المغاربية وقد استجاب الشعب الجزائري لنداءوسجلت بعض حالات الإضراب في الجزائر العاصمة و قسنطينة وعنابة.

وفي هذا الصدد أعلن حزب الشعب الجزائري تضامنه مع الشعبين التونسي والمغربي ضد الضغط الذي ينزل عليها، وأعلن في جريدة الأمة نداء "أيها التجار أيها العمال استجيبوا كلكم في كتلة واحدة لندائنا فأغلقوا حوانيتكم وأوقفوا أعمالكم فالامبريالية الفرنسية بدأت تلعب بورقتها الأخيرة....." إننا في بداية الكفاح الذي لا يعرف مهادنة مع الامبريالية .....أسسوا جبهة موحدة للكفاح الذي يجب أن تجمع تونس والجزائر والمغرب الأقصى".

وجاء في تقرير رسمي عن ولاية العاصمة برقم 38 انه تأثر بحوادث المتلوي بتونس جراء الإضراب الذي قام به عمال مناجم الكويف بعدها تركوا أعمالهم دون إجراءات قانونية وما ينتج عنه من حوادث خطيرة

ولتأكيد تضامن حزب الشعب الجزائري مع الحزب الدستوري اثر الإضراب الذي قام به العمال التونسيين نشرت جريدة العمل التونسية مقالا وأعادت جريدة الأمة نشره "إن مثل هذا العمل أملاه الاقتناع بوحدة المغرب العربي وبإمكانية تحقيقها ونفس هذا الاقتناع جعل المنظمة الجزائرية خدمتنا، وأي شيء أدى بميصالي إلى النشاط في مصالحها لولا هذا الاقتناع بوحدة المغرب العربي حتى كلفه ستة أشهر سجنا".

وعلى اثر حوادث بنزرت يوم 08 جانفي 1938 أرسل احد مناضلي حزب الشعب الجزائري رسالة إلى الحبيب بورقيبة اظهر فيها تضامن الحزب مع إخوانه التونسيين جاء نصها "يا مسلمي الشمال الإفريقي، كفاكم ضعفا..... لنحفظ كرامتنا بالعمل المستمر ....ولنتذكر موتانا الذين سقطوا بميدان القتال ولنكن مستعدين .....فباسم حزب الشعب الجزائري نحيي ضحايا بنزرت السنة وتصدع عاليا: يا معشر التونسيين إننا معكم، وان حضوضنا مرتبطة بحضوضكم بسراء والضراء والشدة والرخاء.....".

ونشرت جريدة "العمل" التونسية مقالا لأحد مناضلي حزب الشعب الجزائري في 01 افريل 1938 مقالا بعنوان "صدى الشمال الإفريقي" ،يبرز فيه سعي شعب شمال إفريقيا في الاتحاد والتضامن المشترك لمواجهة الاستعمار الفرنسي وأشاد بتضحيات قادة الدستور

الجديد لتحرير المملكة التونسية و بسالة الشعبين المغربي والجزائري في النضال رغم السجن والزجر الذي سلطه الاستعمار الفرنسي عليهم في إخماد حركتهم.

وجاء في منشور لفيدرالية القطاع القسنطيني لحزب الشعب الجزائري "وهذا الزعيم المغربي علال فاسي يقاسي اقسي الآلام في الغابون بخط الاستواء حيث الشموس المحرقة والأمراض الفتاكة ورفاقه في مجامل الحدود المغربية يكسرون الحجارة في الجبال، وتلك شوارع بنزرت تجري بدماء شهداء الاعتداء بالرصاص".

ونشرت جريدة البرلمان الجزائري مقالا بعنوان "صمت مفجع يخيم على المغرب" تتساءل فيه عن مصير زعماء المغرب علال الفاسي والأستاذ محمد حسن الوزان وعمر عبد الجليل الذين نفوا إلى الصحراء بسبب مطالبتهم بحق الشعب المغربي في مظاهرة سلمية سنة 1937 ما تسبب في قمعهم من طرف السلطات الفرنسية.

وفي منشور لفيدرالية القطاع الوهراني لحزب الشعب ورد :"في كل مكان من بنزرت إلى كزبلونكا مرورا بالجزائر.....لا حديث إلا على الشكاوى والمنفيين والسجناء وحداد العائلات في تونس تتم محاكمة "بوقطفة" و"نويرة" وملاحقة "بورقيبة" ....وفي المغرب يتوفى "عمر عبد الجليل" وفي سجنه الفاسي في الاستواء.....".

وكتب حزب الشعب الجزائري على صحيفة "تونس الفتاة" في افريل 1938 بعنوان "نداء حار إلى شباب شمال إفريقيا" ،داعيا إلى الوحدة والكفاح منددا بالاعتقالات والأحكام التعسفية في الأقطار الثلاثة "،فهذا بتونس زعيم البلاد.....الأستاذ الحبيب بورقيبة ورفاقه.....صالح بن يوسف والمنجي سليم.....يقاسون ألوان العذاب في شتى السجون العسكرية بدعوة التآمر ضد امن الدولة....."."وهذا بالمغرب رئيس المجاهدين ورفقاؤه الصناديد.....عمر بن عبد الجليل واليزيدي ومحمد الوزاني .....وصفوة الشبان الناهضين أركان لجنة العمل القومي من مدة ثمانية عشر شهر والاستعمار يسومهم العنف وسوء العذاب".

" أيها الشباب العربي .....لو أردنا أن تأتي على ذكر شهداء "بورليوطي" ومراكش و وجدة والرباط وبنزرت وتونس وبسكرة لما كفتنا المجلدات الكبار". وعلى غرار ذلك ورد في منشور لفرع تلمسان لحزب الشعب نتائج القمع الاستعماري بالأرقام "في المغرب تم إحصاء 500 جريح و 60 قتيل و 2000 موقوف وعدد من المنفيين وفي تونس 10 قتلى و 50 جريح وعدد من الموقوفين وفي الجزائر 10 موقوفين و 200 متهم و 70 جريح".

هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أن حزب الشعب خلال سنة 1938 يكثر من توزيع المناشير التي تطالب بإطلاق سراح زعماء الشمال الإفريقي، وجاء في منشور فيدرالية الجزائر أن غاية حزب الشعب " تكمن في تحرير ميصالي و تسليط الضوء على ضحايا بنزرت وعودة الفاسي وتحرير رفقائه من المنفى".

وقام حزب الشعب الجزائري برفع استئناف في 25 نوفمبر 1938 للحصول على إفراج الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي وميصالي الحاج وفضحوا الأطماع الاستعمارية الجديدة، كمطالبة ايطاليا بتونس، إذا كتبت جريدة الأمة في 15 ديسمبر 1938 مؤكدة أن حزب الشعب الجزائري مستعد لدفاع عن المغرب العربي " ولا يمكننا أن نفرط في حفنة من تراب مغربنا الطيب وأننا على استعداد للموت إلى آخرنا".

وأكدت جريدة الأمة سنة 1939على وحدة المغرب العربي " إن الجزائر ليست ملحقة بفرنسا بمقتضى أي شعور .... وباسم الجمهورية الفرنسية يعاني 60 مليون من الكائنات البشرية عبودية منحطة.....إن وطننا هو المغرب العربي ونحن مخلصون له حتى الموت وإذا كانت إرادتنا في العيش أحرار تعد معاداة لفرنسا فنحن معادون لفرنسا وسنكون كذلك".

وفي سبتمبر 1939 نظم حزب الشعب تجمعا في باريس اجتح فيه على إبعاد السلطات الفرنسية للحبيب بورقيبة والدكتور الماطري إلى واحة برج النوف بالجنوب التونسي وطالب بإطلاق سراحهم.

لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا 1939:

بعد أن خابت أمال الشعب الجزائري من طرف الجبهة الشعبية في تحرير البلاد والسير نحو الاستقلال ،ظهر تيار أخر ضمن حزب الشعب الجزائري أعلن عدائه لفرنسا ومناصرته لألمانيا حيث ابدوا إعجابهم بألمانيا الاشتراكية التي ستساعدهم على تحرير بلدان المغرب العربي.

وجاء في شهادة سيد علي عبد الحميد انه قبيل الحرب العالمية اتصل بعض المناضلين من الحزب بالألمان طمعا في مساعدتهم للحصول على الاستقلال ولو بشن الحرب على الاستعمار وكان هؤلاء المناضلون يعملون بالتنسيق مع مناضلي من حزب الدستور التونسي الجديد بتونس ومناضلين من حزب الاستقلال بالمغرب في إطار ما يسمى "بلجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا".

كان الأمر بتشكيل اللجنة في شهر فيفري 1939 ضمت كل من احمد فليتة ورشيد اوعمارة وبو قادم وعبد الرحمن ياسين ومحمد هني أما محمد طالب كان منشطا للفوج.

وكان هدف اللجنة هو السعي إلى الاتصال بالألمان والمحور قصد الحصول على مساعدات وللتدريب العسكري وضع المتفجرات فهدفت اللجنة إلى استغلال ظروف الحرب من اجل مواجهة الاستعمار.

بدأت اللجنة نشاطها عقب العديد من الاتصالات واللقاءات أبرزها اللقاء الذي جمع بين راجف بلقاسم ومحمد ربوح مع السلطات الألمانية بهدف إرسال مجموعة من الشباب الجزائريين إلى ألمانيا لتدريب والحصول على السلاح. وفي جوان 1939 توجه مجموعة من مناضلي الحزب إلى ألمانيا ومنهم عبد الرحمن ياسين، الرشيد اوعمارة ومحمد طالب واحمد فليتة فاستقبلتهم السلطات الألمانية فيما بين 20 جوان و 15 جويلية وتم تدريبهم على تقنيات التخريب وحرب العصابات وقدم الألمان وعودا بتلقي المساعدات في حالة اندلاع الحرب. وقد عارض ميصالي لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا ولم يوافق على هذه

المبادرات وطلب من أعضائه المشاركين تقديم استقالتهم من الحزب و تم إقصاء العديد من قادة الحزب من بينهم محمد طالب، عمارة رشيدة، بوقادوم مسعود وهني محمد.

وقد اعتمدت اللجنة في هيكلتها على التنظيم الهرمي من زمر وخلايا وقطاعات واستفادت من الكشافة الإسلامية الجزائرية ومن مؤسسها محمد بوراس الذي أقام علاقة وثيقة مع الجيش الألماني غير انه اكتشف مخططاته من طرف السلطات الفرنسية ما أدى إلى إعدامه.وقد عملت اللجنة على القيام بحملة دعائية مضادة لعملية التجنيد في الجيش الفرنسي وشراء الأسلحة وتخزينها والتدرب عليها.

واجهت هذه اللجنة عدة عراقيل، لعدم وفاء دول المحور بوعودها في تقديم المساعدات إلى عناصر اللجنة، وعدم وجود جهاز سري منظم لتوعية الجماهير الشعبية، ونقص الأسلحة، فضلا عن ذلك معارضة ميصالي الحاج، حيث اعتبر أن المحور يشكل خطرا على مستقبل إفريقيا الشمالية وقيامه بإقصاء عناصر اللجنة المناصرة للألمان من حزب الشعب الجزائري، بالإضافة إلى صعوبة الاتصال بتونس والمغرب الأقصى، و اقتصارها على العناصر الجزائرية بالرغم من أن اللجنة حملت عنوان ثوري مغاربي ومهما يكن فان اللجنة هدفت إلى تنظيم مقاومة مسلحة في المغرب العربي. وعلى غرار لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا وتدعيمها لنشاط المغاربي، قام حزب الشعب الجزائري بتأسيس عدة هيئات ثورية كالمكتب المركزي للعمل الشمال الإفريقي وكان سريا مركزه الجزائر العاصمة له فروع بتونس والمغرب الأقصى وكان المكتب يتعامل مع الأحزاب المغربية والتونسية وفروعها بواسطة الشفرة.

ميثاق الجبهة المغاربية 1945:

أكدت حوادث 08 ماي 1945 بالجزائر وسياسة الإصلاح والانتخابات في تونس والمغرب إلى أن الاستعمار الفرنسي لا يمكن دحره إلا بقوة السلاح وأدت التطورات الجديدة على

المستوى الإقليمي والعربي والعالمي إلى دفع إدارة حزب الشعب الجزائري إلى التحرك من جديد لربط أوامر الدعم والوحدة مع تونس والمغرب الأقصى.

وفي سنة 1945 جدد حزب الشعب الجزائري اتصالاته بحزب الاستقلال المغربي والحزب الدستوري التونسي وكان قادة حزب الشعب الجزائري يرمون إلى تأسيس جبهة موحدة على مستوى شمال إفريقيا بهدف المطالبة باستقلال البلدان المغاربية الثلاثة وعدم تفاوض أي قطر من أقطار المغرب العربي مع أية قوة محتلة (فرنسا، او اسبانيا) وان كل مبادرة عمل يجب أن تكون عامة مع استبعاد كل عمل ثوري يسلك مسلكا قطريا.

وفي صائفه 1945 أوفد حزب الشعب لمين دباغين ومبارك فيلالي إلى تونس في مهمة سرية والتحق بهما الشاذلي المكي وكان موضوع المهمة الاتصال بقادة الحزب الدستوري الجديد وتباحث الشاذلي المكي مع ممثلي التيارات السياسية والثقافية بتونس حول مسالة وضع وثيقة مغربية للعمل الموحد وتم الاتصال برئيس جامعة الزيتونة الإسلامية الفاضل بن عاشور والسيد القليبي عضو الحزب الدستوري الجديد والتقى وفد حزب الشعب باثنين من أعضاء المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد هما المنجي سليم وعلال البلهوان لتحاور حول وحدة العمل في المغرب العربي ووافق هذان الأخيران على مقترحات حزب الشعب الجزائري ووعدا بتنفيذ عمليات مسلحة في الجنوب وتنظيم إضرابات في الشمال.

أثمرت مباحثات حزب الشعب الجزائري في تونس توقيع وثيقة ذات طابع مغاربي تنص على تضامن الشعوب الثلاثة وعزمها على تنسيق جهودها ضمن أفاق التفاوض مع الاستعمار الفرنسي للخروج من المنطقة عن طريق السلم أو الحرب.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فبشان الاتصالات بالمغرب الأقصى استئناف كل من دباغين وفيلالي طريقهما وكان انتقالهما الى المغرب بطريقة سرية فقصد مدينة الدار البيضاء حيث التقيا بالمهدي بن بركة احد زعماء حزب الاستقلال المغربي، ورتب لهما هذا الأخير مقابلات مع أعضاء آخرين احمد بلفريح وعمر بن جلول ومحمد بن ناصر وتمت

الموافقة من طرف المراكشيين على الميثاق الذي أقرا التنسيق بين الأحزاب المغاربية الثلاثة.

وقع مندوبي حزب الشعب الجزائري الثلاثي الأمين دباغين وفيلالي و الشاذلي المكي ومندوبي حزب الدستور التونسي وحزب الاستقلال المغربي في 02 نوفمبر 1945 ميثاق جاء في مقدمة "لما كانت شعوب شمال إفريقيا متجهة نحو وجهة واحدة لمحاربة الاستعمار بجميع أنواعه والسير نحو الاستقلال .....والعمل على وحدة الشمال الإفريقي في دائرة جامعة الدول العربية رأى ممثلو الهيئات السياسية الموقعة على هذا الميثاق أن يخرجوا هذه الوجهة المتحدة من خير النظر ....إلى خير العمل .....".

وقد قيد هذا الميثاق موقعية بعدم تغير الخطة السياسية الموحدة إلى بعد استشارة الأخريين والرجوع إلى رأيهم كما ترك الميثاق مفتوحا لبقية الأحزاب في المغرب العربي في الانضمام لهذا الميثاق المعلن بين الأحزاب المغاربية الثلاثة، كما أقرا الميثاق على المبادئ التالية:

-تحضير العمل المشترك على مستوى المغرب العربي من اجل استقلاله بما في ذلك الكفاح المسلح.

-لا تفاوض انفراد مع أي قوة محتملة إلا بموافقة الطرفين الآخرين.

ظلت هذه الوثيقة فاقدة لأية أهمية ويرجع ذلك لعدم جدية الدستورين وجماعة حزب الاستقلال.

06/06 : النازية و تدعيم البعد الوحدوي المغاربي : مكتب المغرب العربي ببرلين 1943

.مكتب المغرب العربي ببرلين 1943:

أدت ظروف ح ع 2 إلى هجرة الكثير من الوطنين المغاربة إلى العواصم الأوروبية خاصة دول المحور، كان ذلك هروبا من سياسة الاضطهاد التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي ضد أي نشاط سياسي يهدف إلى استرجاع الحرية.

كانت برلين تمثل مركز جذب هؤلاء المغاربة على حساب منافستها لفرنسا، وعلى رأس هؤلاء الوطنيين التونسيين حبيب ثامر والطيب سليم، رشيد إدريس، حسين التركي الهادي السعيدي، فبعدما تم الإفراج عنهم قرروا مغادرة تونس واستمرار في النضالوتنظيم كل القوى التي يمكن أن يساهم في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

توجهوا نحو ايطاليا ثم غادروها نحو ألمانيا هناك تمكنوا من تأسيس مكتب المغرب العربي ببرلين بتاريخ 21جويلية 1943 بمساعدة المفتي أمين الحسيني من فلسطين. وبالتالي كانت فكرة إنشاء هذا المكتب جماعية بين العناصر الوطنية التي فرت من تونس نتيجة حملة الاعتقالات والاضطهاد من طرف فرنسا في شهر أفريل 1943.كان مقر المكتب بالمعهد الإسلامي الذي كان يديره أمين الحسيني.

كان من أهداف هذا المكتب هو السعي إلى استقلال المغرب العربي ووحدته في نطاق الوحدة العربية، والعناية بالعمال الأسرى المغاربة أيضاإنشاء محطة إذاعية عربية تهتم بانشغالات الأمة المغربية(المغاربية)، إضافةإلى اصدر جريدة المغرب العربي.

عمل المكتب على توجيه النداءات للشباب العرب في العالم المساهمة في الكفاح المغاربي بأية وسيلة متاحة لديهم، وقد امتد نشاط المكتب الى عدد من الدول الأوروبية خاصة فرنسا.

تزامن نشاط المكتب في برلين مع انعقاد مؤتمر2نوفمبر 1943 الذي دعا إليه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين بمناسبة ذكرى وعد بلفور، حضره من تونس يوسف الرويسي، الذي وصل مع جماعته إلى برلين أواخر اكتوبر1943، الذي قدم فيه تقريرا مفصلا عن سياسة الاستعمار في المغرب العربي.

تم أيضا خلال نفس الشهر الاتصال بوزيرالألماني فون برقن المكلف بالشؤون أرويا الغربية في وزارة الخارجية وذلك بواسطة أمين الحسيني، حيث نجح الوطنيون المغاربة في إقناع برقن بتسهيل زيارتهم إلى باريس من أجل معرفة أحوال العمال المغاربة.

استجاب الجزائريون لدعوة الرويسي الذي تعاون مع رشيد إدريس وجماعته وقد بدؤوا في الاتصالات بالجالية المغاربية بفرنسا من طلاب وعمال وتجار، عقدوا عدة اجتماعات مع أعضاء من حزب الشعب وأعضاء من كتلة العمل المراكشي، كونوا حركة أسمت نفسها هيئة الحزب الوطني المغاربي كان من أعضائها سي الجيلاني من الجزائر ومحمد الديوري من المغرب الأقصى.

كان هدف اللجنة توحيد نضال المغاربي والاهتمام بشؤون العمال الموجودين بأوربا والدعاية للقضية الوطنية، لذلك نسقت عملها مع جمعية اتحادعمال شمال إفريقياالتي كان يديرها جزائريون وهم عمار خيذر، علي شعبان، علي خليفاتي.

لدراسة وضعية العمال المغاربة قسم العمل فيما بين أعضاء الهيئة إلى منطقتين منطقة بها رشيد إدريس وحسين التريكي وبعض الجزائريين، منطقة أخرى بها حبيب ثامر ويوسف الرويسي وجزائريين علي شعباني وعلي خليفاتي، عملت الهيئة على تأطير الجالية المغاربية بباريس وتوعيتها بأهمية الوحدة وانتهاز الدعم الألماني لتحرير المغرب العربي.

انشا هؤلاء الوطنيون فرع لمكتب المغرب العربي بباريس، وفي 1943 أعيد تنظيم المكتب ببرلين ووزعت المهام بين المكتب الرئيسي وفرع باريس وأصبح هذا الأخير بصفة رسمية يحمل اسم مكتب المغرب العربي.

قام المكتب بإصدار العدد الأول من جريدة المغرب العربي بتاريخ 16 ماي 1945 جاء فيه دعوة إلى وحدة العمل المغاربي والعمل على تحقيق وحدة الوطن العربي الصحيحة من خليج العرب الى المحيط الاطلسي.

أيضاأكد عددها الثاني الصادر في 14مارس 1945 الاتجاه المغاربي والعربي في التحرر والاستقلال والوحدة وعدته الهدف الاسمى للكفاح الموحدة أيضااكدت على ارتباط بالوطن العربي ضمن الوحدة العربية الشاملة.

لم تسعف الظروف مكتب المغرب العربي ببرلين من تحقيق أهدافه، وقد توقف نشاطه مع انهزام ألمانيا، حيث اضطر رشيد إدريس وحبيب ثامر ورفاقهم اللجوء إلى اسبانيا مابين أوت 1944وجوان 1946.

أماالرويسي ومن بقي معه تم اعتقالهم في وغشتاينبألمانيا ونقلوا إلى بلجيكا حيث بقوا هناك إلىأن تم الإفراج عنهم سافروا إلى سوريا أين واصلوا النضال المشترك الذي يهدف إلى تحرير المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي والاسباني،وذلك من خلال إعادة بعث مكتب المغرب العربي من جديد.إضافةإلىانضمام بعض أعضائهإلى جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية التي تأسست في المشرق العربي.

جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية 1944:

إلى جانب نشاط مكتب المغرب العربي بأوربا تكونت هيئة لجمع الشمل وتوحيد الكفاح والنضال سميت بجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية.تأسست جبهة الدفاع يوم 8فيفري 1944الموافق ل1 ربيع الأول 1364وقدترأسها محمد الخضر حسين أما نائبه هو الأمير مختار الجزائريوأمينها العام فضيل الورتلانيكان مركزها شارع مجلس النواب بالقاهرة.

ضمت هذه الجبهة أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي ومن جميع الهيئات والأحزابتعتبر الجبهة أول تنظيم جمع الحركات الوطنية المغاربية، جاءت فكرة إنشائها لتوحيد صفوف هذه الحركات في أقطار المغرب العربي واستقلالها استقلالا تاما في وحدة متكاملة.

أماعن نشأة الجبهة وتكوينها فقد كان الدور الجزائري بارزا فيها، ويظهر ذلك من خلال نشاط الورتلاني الذي تحرك منذ وائل ح ع 2 بحثا عن شخصيات تشد أزره، حيث اتصل بالأمير مختار الجزائري في يافا بفلسطين أواخر سنة 1943وأقنعه بضرورة العمل المشترك لصالح الوطن وكان لقاء بالقاهرة، إلى جانب هذاأسس فضيل الورتلانيبالقاهرة اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر 1943 وجمعية الجالية الجزائرية أيضا ساهم إلى جانب أبناء المغرب العربي في تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، حيث كان عنصر فعال في تسييرها وبذل جهودا في كبيرة في خدمة قضايا الجزائر والمغرب العربي.

أما عن أهداف الجبهة وغاياتها تم تحديدها في قانونها الأساسي المتمثل في:

<u>المادة 1</u>: في يوم أول ربيع الأول سنة 1364 الموافق ل18فبراير 1944 تألفت هيئة في القاهرة تسمى جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية.

<u>المادة 2</u>:أغراض الجبهة: السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، مراكش) السعي لضم هذه الشعوب إلى الدول العربية.

<u>المادة3</u>: دستور الجبهة:التضامن وتحريم العصبيات.

<u>المادة4</u>: سعي الجبهة لتحقيق أعراضها بجميع الوسائل المشروعة كإنشاء الصحف وفتح الأنديةوإيجاد شعب لها في مصر وخارجها إذا اقتضى الحال ذلك بتوفيق الله.

كانت الجبهة تسعى للعمل على تحقيق حرية واستقلال شعوب شمالإفريقيا، تأكد الطابع الوحدوي للجبهة بانضمام الحبيب بورقيبةمن تونس ورابطةالدفاع عن مراكش والمؤسسة منذ1943 من قبل خريجي البعثاتالطلابية المغربية، إضافةإلىانضماملاجئين المغاربة من الحزب الدستورالتونسيالقديم وحزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كان عمل الجبهة يتسم بالطابع الوحدوي لأبناءالمغرب العربي الوطنيين، مما مكنها من تقوية نشاطها خاصة في الظروف الدولية التي نشأت فيها كظهور الجامعة العربيةوهيئة الأمم المتحدة.

وجه الشيخان فضيل الورتلاني وخضر حسين مذكرةإلىمؤتمر الجامعة العربية الأول دعوا من خلالها المؤتمرين إلى الاعتناء بالقضية المغاربية تم إرسالأيضا مذكرة إلىالأمين العام للأمم المتحدة في سان فرانسيسكو في شهر أكتوبر باسم جبهة الدفاع يحثانه فيها على ضرورة الاهتمام بقضية شمال إفريقياوإنقاذ الشعوب المغاربية من مخالبالاستعمار.

اعتمدت اللجنة في نشاطها على وسائل عدة منها إصدار البيانات وكتابة المقالات في عدة صحف منها جريدة الإخوان، دعوة الحق، مجلة النذير ومصر الفتاة، كما نظمت ندوات ومحاضرات في العديد من النوادي المصرية،إضافةإلى عواصم عربية أخرى مثل بيروت ودمشق.

قامت الجبهة بنشاط إعلامي كبير منذتأسيسها، حيث كانت بمثابة مكتب الإعلام بالمشرق العربي قبل إنشاء مكتب المغرب العربي، حيث تابعت كل الأحداث الجارية بمنطقة المغرب العربي، كانت أول هيئة اطلعت المشارقةبأحداث 8ماي 1945 بالجزائر ونشرت بيانا عن هذه الأحداث بعنوان"ثورة الجزائر العربية" بالصحف المصرية بتاريخ 13ماي 1945.في أكتوبر 1946ارسلت الجبهة احتجاجا إلى رئيس الحكومة الفرنسية لمنع سلطات الحماية بالمغرب الأقصى جمعية الطلبة من عقد مؤتمرها السنوي بالرباط.

كانت الجبهة بمثابة نواة لبناء العمل السياسي المغاربي في المشرق حيث استطاعت في ظرف وجيز جمع أطياف حركات الوطنية المغاربية، كانت بفضل نشاطها الواسع إحدى اطر استقطاب لزعماء هذه الحركات فقد حملت مشعل الدفاع عن قضايا المغرب العربيولاشك أنهاملأت فراغا أمام جهل العرب المشارقة بأحوال المغاربة وقد كانت بمثابة لسان وصوت المغرب العربي بالمشرق.

بدأت جبهة الدفاع في الاختفاء منذ نهاية 1947 بهجرة أمينها العام الورتلاني في مهمة إلى اليمن كلفته بها جماعة إخوان المسلمين أيضا هجرة الكثير من أعضائهاإلى مكتب المغرب العربي بمصر، إضافةإلى قلة تأييدها من جامعة الدول العربية.

مهدت هذه المحاولة التي جاءت في أعقاب نهاية ح ع 2وميلاد جامعة العربية بتجربة هامة جدا على صعيد الجهود النضالية والمتمثلة في ميلاد مكتب المغرب العربي الذي انبثق عن مؤتمر المغرب العربي1947.